الداعية والاكتساب في ضوء

نصوص الكتاب والسنة وسير الصالحين

الدكتور / سعد بن عبدالرحمن الجريد

قسم الدعوة – كلية الدعوة والإعلام بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

فقد كان لدى العرب قبل الإسلام بعض الأعراف الخاطئة التي سارت عليها حياتهم ومن تلك الأعراف احتقارهم لبعض المهن، فكانوا يمتهنون - بالدرجة الأولى وعلى سبيل المثال لا الحصر - من يشتغل في الحدادة ولا يزوجونه ولا يتزوجون منه بل يأنفون من مخالطته ، ومن ثم ابتعد أشراف العرب عن تلك المهنة [1]، وبعد مجيء منهج الإسلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم تغير الوضع نتيجة لشمول الإسلام لكل مناشط الحياة فقد دعا أتباعه إلى إصلاح الدنيا والآخرة وذلك بعمارتها بطاعة الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [2] قال الجصاص: " أي أمركم من عمارتها بما تحتاجون إليه ، وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية"[3] ولا غرو أن يكون من أدعية النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة ما جاء " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ "[4] ، ومن هنا كان طلب الرزق في ديننا عبادة يثاب عليها المسلم إذا استصحب النية الصالحة، والدعاة أحوج الناس إلى تحقيق صفة الإخلاص والتجرد والاستغناء عمن يدعوهم حتى تكون دعوتهم مقبولة عند الله وعند الناس ومما يحقق ذلك المسلك للداعية اهتمامه بأمر معيشته مع أمر

(١) انظر: عبد العزيز العمري، الحرف والصناعات في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) هود ، آية : ٦١ .

(٣) الجصاص، أحكام القرآن، ١٦٥/٣ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ٢٧٢٠ .

معاده، ولا يتحقق له ذلك بعد الاستعانة بالله تعالى إلا بأن يشتغل بالاكتساب ليقوت بـــه نفسه ومن يعول كما كان السلف الصالح رضي الله عنهم ، وهذا البحث محاولة لاســـتجلاء تلـــك المعاني، من خلال النصوص في الكتاب والسنة الصحيحة وأقوال وهدي أئمة الإسلام من العلماء والصلحاء على مر التاريخ .

وقد جاء البحث في ستة مباحث على النحو الآتي :

المبحث الأول: فضل الاكتساب وآدابه .

المبحث الثاني: أهمية الاكتساب في حياة الأنبياء والصالحين .

المبحث الثالث: أهمية الاكتساب في السنة النبوية .

المبحث الرابع: ممارسة الصحابة للاكتساب .

المبحث الخامس: ممارسة السلف للاكتساب .

المبحث السادس: الاكتساب من وسائل الدعوة إلى الله.

وخاتمة تتضمن أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

وقد التزمت في هذا البحث المنهج الآتي:

عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن الكريم.

إذا كـــان الحديث مخرجاً في الصحيحين أو في أحدهما فلا أتعرض للحكم عليه لـــتلقي الأمـــة لهذين الكتابين بالقبول.أما إذا ورد عند غيرهما فأجتهد في البحث عن حكمه.

خرجت الأحاديث الواردة في ثنايا البحث من كتب الحديث المعتمدة.

ترجمـــت للأعـــلام الـــواردة في غـــير الروايات وممن له صلة بموضوع البحث واقتصرت في الترجمة على غير المشهورين.

بذلت جهدي في ترتيب الأقوال حسب وفيات أصحابها.

توثـــيق المادة العلمية وذلك بذكر المصدر أو المرجع للمعلومة في الهامش مكتفياً باسم المؤلف والكتاب.

أخـــرت ذكـــر طبعة أي كتاب وناشره وتاريخ ذلك إلى ثبت المصادر والمراجع خشية أن تطول الحواشي.

التزمت بطبعة واحدة للمصادر والمراجع وعند اختلاف الطبعة تذكر في الهامش.

هذا وأُسأل المولى الكريم أن يبارك فيه وينفع به وأن يتقبله بقبول حسن والحمد لله رب العالمين.

الداعية والاكتساب :

تمهيد: تعريف الداعية والاكتساب :

الداعـــية لغـــة: اســـم فاعل على وزن فاعلة، تقول: دعاه، يدعوه فهو داعٍ له. والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، واحدهم داع ، ورجل داعية . إذا كان يدعـــو الناس إلى بدعة أودين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة ، والداعية : صريخ الخيل في الحروب لدعائه من يستصرخه[١].

الداعية في الاصطلاح هو : وارث النبي ﷺ في مهمته الإرشادية، والقائم مقامه في إبـــلاغ دين الله[٢]. والداعية هو : كل مسلم مكلف، اشتغل بهداية الناس وبدلالتهم عـــلى الله، ويدخـــــل في ذلك : الرسول ، العالم المتخصص ، طالب العلم ، المسلم العادي [٣].

الاكتســـاب لغة: أصل الكسب والاكتساب في اللغة واحد: وهو الجمع وطلب الـــرزق، كســـب يكسِب كسْباً ، يقال:كسب ، أي : أصاب ، واكتسب:تصرف واجتهد [٤].

الفـــرق بين الكسب والاكتساب: قيل هما مترادفان ولا فرق بينهما، ومن فرق بيـــنهما قال: إن الكسب فيما أخذه لنفسه ولغيره، ولهذا قد يتعدى مفعولين فيقال: كَسَـــبْت فلانـــاً كذا، والاكتساب لا يقال إلا فيما استفدته لنفسك، وقيل: الكسب أعـــم، والاكتســـاب أخـــص، [٥] ، قال ابن القيم معلقاً على قوله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ : " والاكتساب : افتعال وهو يستدعي اهتماماً

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: دعا، ٢٥٩/١٤ .

(٢) د. أحمد غلُوَش ، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ص ٤٣٢ .

(٣) د. حمد بن ناصر العمار، صفات الداعية، ١٢ .

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة: كسب، ٧١٦/١ .

(٥) انظر: ابن القيم، شفاء العليل، ١٢٠/١ ، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٤٣٠ .

وتعملاً واجتهاداً ، وأما الكسب فيصح نسبته بأدنى شيء " [1]، وقيل: معنى الكسب: تحصيل الشيء على أي وجه كان. والاكتساب: المبالغة والاعتمال فيه [2]. قال الواحدي: والصحيح عند أهل اللغة أن الكسب والاكتساب واحد [3].

الاكتساب اصطلاحاً: ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ [4]. وقيل: هو الفعل المفضي إلى اجتلاب نفع، أو دفع ضر[5]، ومما له علاقة بالاكتساب الاحتراف ، قال ابن منظور: " وأما الحِرفة: فهو اسم من الاحتراف، وهو الاكتساب أياً كان، يقال: يحرف لعياله ويحترف بمعنى يكتسب من ههنا وههنا"[6]"ويقال لها ضيعة: وضيعة الرجل: حرفته وصناعته ومعاشه وكسبه .

يقال : ما ضيعتك أي ما حرفتك"[7] . وعرفت بأنها: جهة الاكتساب والتصرف في المعاش وهي : الاكتساب بالصِّناعة أو التجارة [8]. وكل ما اشتغل به الإنسان من أي أمر كان فإن العرب تسميه صنعة وحرفة ، يقولون : صنعة فلان أن يفعل كذا وحرفة فلان أن يفعل كذا ، يريدون دأبه وديدنه [9]. والخلاصة : أن الكسب والاكتساب أعم من الحرفة وأنهما كلمتان أصلهما واحد في الدلالة .

(١) ابن القيم، شفاء العليل، ١/١٢٠ .

(٢) القاسمي، محاسن التأويل، ٣/٣٩١ .

(٣) القاسمي، محاسن التأويل، ٣/٣٩١ .

(٤) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ٤٣٠ .

(٥) الجرجاني، التعريفات، ١٨٤ .

(٦) ابن منظور، اللسان ٩/٤٣ ، ٤٤ ، (حرف).

(٧) ابن منظور، اللسان ٨/٢٣٠،(ضيع) ٩/٤٤ (حرف).

(٨) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤/٣٠٤ ، وانظر:ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر،١/٣٦٩ ، ابن قتيبة، غريب الحديث والأثر، ٢/٥٤ ، وانظر: محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، المطلع على أبواب المقنع، ١/٣٥٤ .

(٩) محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ١/٢٧٥ . الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١/١٠٣٣، مادة:(حرف).

المبحث الأول: فضل الاكتساب وآدابه :

يغـــرس مـــنهج الإسلام العزة في نفوس أتباعه، ومن معاني العزة الاستعفاف عن الســؤال، وتــرك الطمــع عما في أيدي الناس، وهذا لا يكون إلا بممارسة الكسب الحلال، وسنتناول هذا الموضوع من خلال نقطتين هما:

١ – مشروعية الاكتساب.

٢ – آداب الاكتساب .

أولاً: مشروعية الاكتساب:

عند التأمل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يتبين مشروعية الاكتســاب كمــا يظهــر لنا مدى الاهتمام بأمر الرزق والمعاش ، وأن تيسير المولى ســبحانه له من النعم التي تستحق الشكر، وأن على العباد أن يقصدوه وحده في أمر معاشــهم ومعادهم قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) وقال الله تعالى ممتــنا عــلى عباده: ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ (٢) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) فجعل سبحانه المعيشة نعمة تستحق الشــكر وقــال ســبحانه وتعــالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (٤) وقال سبحانه ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (٥)

(١) العنكبوت ، الآية : ١٧ .

(٢) النبأ ، الآية : ١١ .

(٣) الأعراف، الآية : ١٠ .

(٤) البقرة، الآية : ١٩٨ .

(٥) المزمل، الآية : ٢٠ .

وقـــال سبحانه وتعالى: ﴿ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [1]، وقد ورد في بعض الآثار: " أن تسعة أعشار الرزق في التجارة " [2]. وقالَ الحَسين بن علي رضي الله عنه[3] (ت:٦١هـــ) : "العبادة سبعون باباً أفضلها طلب الرزق الحلال"[4]، والبيع والشـــراء مـــن أقوى جهات الاكتساب[5]،ومن حكمة الله البالغة أن قسم بين الناس أنواعاً من الأعمال والصناعات والحرف وجعلها لهم مصالح ومكاسب وصرَّفها بينهم لـــتكون دولة بينهم فهذا يحرث وآخر يحصد وآخر يغزل وآخر ينسج وواحد يتجر وآخـــر يصـــوغ لتظهر سنة الله في الحياة في استقامة المعاش على السنن الربانية وفقاً لحكمة الله البالغة قال الله عز وجل: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [6].

وقـــد بســـط شيخ الإسلام ابن تيمية القول في فضل الاكتساب فقال: " جَمِيعُ الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ وَاجِبَاتٌ : مِنْ نَفَقَاتِ أَنْفُسِهِمْ وَأَقَارِبِهِمْ وَقَضَاءِ دُيُونِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَإِذَا تَرَكُوهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ظُلْماً مُحَقَّقاً ... وَلِهَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ[7](ت:٩٣ هـــ): لاَ خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ الْمَالَ: يَعْبُدُ بِهِ رَبَّهُ وَيُؤَدِّي بِهِ أَمَانَتَهُ وَيَصُونُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ الْخَلْقِ . وَفِي السُّنَنِ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : " ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُـــمْ: الْمُجَـــاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ

(١) الجمعة، الآية : ١٠ .

(٢) قـــال البوصـــيري: رواه مســـدد مرسلاً بإسناد صحيح . ابن حجر، المطالب العالية، ٤٠٩/١ ، هامش:٦ . وانظر: الهمذاني، الفردوس بمأثور الخطاب ، ١٧٦/٢ .

(٣) هـــو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي سبط رسول صلى الله عليه وسلم وريحانته . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٨٠/٣ .

(٤) الهمذاني، الفردوس بمأثور الخطاب، ٧٩/٣ .

(٥) ابن قدامة، المغني، ٣٥٧/١٠ .

(٦) الزخرف ، الآية : ٣٢ ، البيهقي، شعب الإيمان، ٨٧/٤ .

(٧) ســـعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن مخزوم القرشي عالم أهل المدينة توفي سنة ٩٣هـــ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١٧/٤ .

الْعَفَافَ" [1]. فَذَكَرَ فِي هَذَا الْحَدِيث مَا يَحْتَاجُ إِلَيْه الْمُؤْمِنُ : عِفَّةَ فَرْجه ، وَتَخْلِيصَ رَقَبَـــته وَبَرَاءَةَ ذِمَّته . فَأَخْبَرَ أَنَّ هَذه الْوَاجِبَات مِنْ عِبَادَة اللَّه وَقَضَاء الدُّيُون ، وَصِيَانَة الـــنَّفْس وَالاسْـــتِغْنَاء عَنْ النَّاس . لاَ تُتَمَّمُ إِلَّا بِالْمَال . وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا به فَهُوَ وَاجِـــبٌ . وَمَنْ لا يُحِبُّ أَدَاءَ مِثْلِ هَذَا الْوَاجِب الْعَظِيم الَّذي لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلاَّ به فَلا خَـــيْرَ فِيه ."[2]، وقال في رده على من زعم أن الرزق مضمون وليس على العبد فعل الأسباب :" فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ ضَمِنَ لِلْعَبْد رِزْقَهُ فَهَذَا لاَ يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الـــرِّزْقُ الْمَضْـــمُونُ لَـــهُ أَسْبَابٌ تَحْصُلُ مِنْ فِعْلِ الْعَبْد وَغَيْر فِعْله . فَقَدْ يَرْزُقُهُ حَلاَلاً وَحَـــرَاماً فَإِذَا فَعَلَ مَا أَمَرَهُ به رَزَقَهُ حَلاَلاً وَإِذَا تَرَكَ مَا أَمَرَهُ به فَقَدْ يَرْزُقُهُ مِنْ حَرَام"[3] وقـــال:" فَـــإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَخْلُوقَات بِأَسْبَاب وَشَرَعَ لِلْعِبَاد أَسْبَاباً يَنَالُونَ بِهَا مَغْفِرَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَثَوَابَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ بِمُجَرَّد تَوَكُّله مَعَ تَرْكه مَا أَمَرَهُ اللَّهُ به مِـــنْ الْأَسْبَاب يَحْصُلُ مَطْلُوبُهُ وَأَنَّ الْمَطَالِبَ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى الْأَسْبَاب الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ أَسْبَاباً لَهَا فَهُوَ غالط"[4]"، وقال أيضاً:" وَقَوْلُ الْقَائِل : إنّ اللَّهَ ضَمِنَ ضَمَاناً مُطْلَقاً . فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا لَا يَمْنَعُ وُجُوبَ الْأَسْبَاب عَلَى مَا يَجِبُ ، فَإِنَّ فِيمَا ضَمِنَهُ رِزْقَ الْأَطْفَال وَالْبَهَائِم وَالزَّوْجَات وَمَعَ هَذَا فَيَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُنْفِقَ عَلَى وَلَده وَبَهَائِمه وَزَوْجَته بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَنَفَقَتُهُ عَلَى نَفْسه أَوْجَبُ عَلَيْه " [5] وقال:" وَالسَّعْيُ سعيان : سَعْيٌ فِيمَا نُصِبَ لِلرِّزْقِ ، كَالصِّنَاعَةِ وَالزِّرَاعَةِ وَالتِّجَارَةِ . وَسَعْيٌ بِالدُّعَاءِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْإِحْسَانِ

(١) رواه الترمذي في سننه وحسنه ، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله. قال الألباني: حسن . صحيح الجامع ، ٥٨٥/١ ، رقم ٣٠٥٠ .

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٧٨/٢٩ .

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٣٠/٨ .

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٢٤/٨ .

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٣٢/٨ .

إِلَى الْخَلْقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ "[1] ، ثم بين في الكسب أصلاً عظيماً يجب التفطن له وعدم الغفلة عنه فقال:" وَأَمَّا أَرْجَحُ الْمَكَاسِبِ:فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَالثِّقَةُ بِكِفَايَتِهِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُهْتَمِّ بِأَمْرِ الرِّزْقِ أَنْ يَلْجَأَ فِيهِ إلَى اللَّهِ وَيَدْعُوَهُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِيمَا يَأْثُرُ عَنْهُ نَبِيُّهُ : "كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ . يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ " [2] فَالِاسْتِعَانَةُ بِاَللَّهِ وَاللَّجَأُ إلَيْهِ فِي أَمْرِ الرِّزْقِ وَغَيْرِهِ أَصْلٌ عَظِيمٌ. "[3]، ويشير رحمه الله إلى أحكام الكسب ودرجاته وأنه يتنوع بتنوع الأحوال والأشخاص فيقول:" فَمِنْ الْكَسْبِ مَا يَكُونُ وَاجِبًا مِثْلَ الرَّجُلِ الْمُحْتَاجِ إلَى نَفَقَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ.أَوْ عِيَالِهِ أَوْ قَضَاءِ دَيْنِهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْكَسْبِ ، وَلَيْسَ هُوَ مَشْغُولًا بِأَمْرِ أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ ؛ هُوَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْكَسْبِ فَهَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْكَسْبُ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ ، وَإِذَا تَرَكَهُ كَانَ عَاصِيًا آثِمًا . وَمِنْهُ مَا يَكُونُ مُسْتَحَبًّا : مِثْلَ هَذَا إذَا اكْتَسَبَ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ؛ فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : " عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ. قَالَ : يَعْمَلُ بِيَدِهِ يَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ ، قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ . قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ ، قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ : فَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنْ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ[4] " وقد كان الصحابة رضي الله عنهم إذا حثهم النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة فلم يجدوا شيئاً يترددون على الأسواق طلباً للرزق ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ انْطَلَقَ أَحَدُنَا

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٤١/٨ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٧ .

(٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٦٦١/١٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة، ١٤٤٥ ، وانظر:ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٨/ ٥٣٦ .

إِلَـــى السُّوقِ فَيُحَامِلُ فَيُصِيبُ الْمُدَّ"[1] ، ومما ورد في حث النبي عليه الصلاة والسلام عـــلى الاكتساب ما جاء "عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عَمْرو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَـــلَّى اللَّـــهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ : كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ"[2] ، ولقد تواتر عن السلف الصالح أقوال في تأكيد هذا المعنى ، قال ابن عباس رضي الله عنهما:" اشتر وبع برأس المال والبركة تجري في الوسط" [3] قال بعض السلف: فجربنا ذلك فوجدناه كما قال ابن عباس ، وعن عبد الله أيضا قال: كان يقال: الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور" [4]، قال أحد السلف: :"اطلبوا الرزق في خبايا الأرض "[5]، وتقول عائشة رضي الله عنها:" الخير يدور في البيت ما دام فيه المغزل "[6] وهي تشير بذلك إلى سبب من أسباب طلب العيش كان سائداً آنذاك يستعمله الناس في طلب معايشهم، وقد قيل لأبي الـــزناد[7](ت:١٧هـــ) وقد ولاه عمر بن عبد العزيز بيت مال الكوفة:" لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا ؟ فقال: إنها وإن أدنتني منها فقد صانتني عنها[8] " وقد

(١) صـــحيح الـــبخاري، كـــتاب الإجارة، باب من آجر نفسه ليحمل على ظهره ثم تصدق به وأجرة الحمال، ٢٢٧٣.

(٢) ســـنن أبي داود، كـــتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، رقم ١٤٤٢ ، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، بلفظ" كَفَـــى بِالْمَـــرْءِ إِثْمًـــا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ "، مسند الإمام أحمد، رقم ٦٢٠٧، ٦٥٢٧ ، ٦٥٣٤ ، ٦٥٤٧ .

(٣) ابن حبان، معرفة الثقات، ٤٢/٢ .

(٤) ابن حبان، معرفة الثقات، ٤٢/٢ .

(٥) ابن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ٦٠٣/٢ .

(٦) الهمذاني، الفردوس بمأثور الخطاب، ٢٠١/٢ .

(٧) عبد الله بن ذكوان بن عبد مناف بن عبد شمس ، ولاه عمر بن عبد العزيز خراج العراق. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣١٨/١ .

(٨) المزي، تهذيب الكمال، ٤٨٢/١٤ .

أوصى قيس بن عاصم بنيه[1](ت:٤٧هـ) فقال: عليكم بجمع هذا المال واصطناعه فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم ... وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب المرء"[2]وكان عمر ﷺ يحث المسلمين على العمل بالتجارة وذلك لما رأى مولىً من الموالي نشيطاً في العمل التجاري فقال لأصحابه: " يا معشر قريش لا يغلبنكم هذا وضرباؤه على التجارة ، فإنها ثلث الملك"[3]، وتلك نظرية سياسية يطلقها الفاروق ﷺ، فإن أصحاب رؤوس الأموال لهم نفوذ قوي وتأثير كبير لما لهم من الجاه ولما للتجارة من الآثار النفسية والعملية في حياة الناس، وأهل الدنيا يرفعون كثير المال، ولو كان وضيعاً،ويضعون المقل ولوكان نسيباً[4]، والعمل بالتجارة يعود الإنسان على الاستقلال، وعلى عزة النفس، وعلى سعة الصلات والروابط، إضافة إلى ما تتيحه من علاقات اجتماعية.

والتجارة واحدة من الحرف التي أحلها الله كما في قوله تعالى: ﴿ إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾[5] ، وهي من أطيب الكسب وأقوى جهات الاكتساب[6] .

والتجارة نوعان: الأول: ممارسة التاجر للتجارة في بلاده المقيم بها.

والثاني: السفر للتجارة ونقل المال إلى الأمصار واستثماره [7].

(١) قيس بن عاصم التميمي المنقري وفد على رسول الله في وفد بن تميم ، وأسلم سنة تسع وكان عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم، ونزل البصرة ومات بها. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٣٢/٤ ، وانظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة،٤٨٥/٥.

(٢) الأزدي، الجامع، ٩٥/١١ ، وحسن إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد، باب تسويد الأكابر، رقم ٢٧٧، وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ٢٩٠/٤ .

(٣) العجلي الكوفي، معرفة الثقات، ٤٤٥/١ .

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ١٣٥/٩ ، وانظر: ابن قدامة، المغني، ٢٩/٧ .

(٥) النساء ، الآية : ٢٩ .

(٦) الرازي أبو زرعة، الضعفاء وأجوبة الرازي على سؤالات البرذعي ، ٥٨٥ .

(٧) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٥١/٥ .

وسأل رجل آخر فقال: دلني على مال أعالجه[1] فأنشأ يقول:

أقـــول لعبد الله يـــوم لقيتـــه وقد شد أحلاس المطي مشرقا
تتبع خبايا الأرض وادع مليكها لعلك يومـــا أن تجاب فترزقـــا
فيؤتيك مـــالا واسعا ذا مثابـــة إذا ما مياه الأرض غارت تدفقا "[2].

ثانياً: آداب الاكتساب:

الاكتساب نشاط بشري له ضوابطه وآدابه في دين الإسلام، وثمة جملة من الآداب المتعلقة بالاكتساب ، يحسن إيراد بعضٍ منها وهي:

أولاً: حسن النية في الاكتساب:

وهـــو أن ينوي إعفاف نفسه عن السؤال، وكف الطمع عن الناس، والنفقة على العـــيال، ليكون بذلك من جملة المجاهدين، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر، ويعملون في نخلهم بهذه النية ، والقدوة بهم[3].

ثانياً: النصيحة:

ويمكـــن تلخيصها بأن يحب لإخوانه المسلمين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفســـه ويشفق عليهم ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم وإن ضـــره ذلك في دنياه كرخص أسعارهم وإن كان في ذلك فوات ربح ما يبيع في تجارتـــه ، وكذلك جميع ما يضرهم عامة ، ويحب ما يصلح ألفتهم ودوام النعم عليهم ونصرهم على عدوهم ودفع كل أذى ومكروه عنهم[4]. ولذلك أثر عن السلف:" من

(١) عالج الشيء معالجة وعلاجا: زاوله. ابن منظور، لسان العرب، ٣٢٧/٢(علج).
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٠٦/٣ ، وانظر: الوصابي، البركة في فضل السعي والحركة ١٧ .
(٣) المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ٨٣ ، ٨٥ .
(٤) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ٨٠/١ .

كانـــت تجارتـــه الطعام بات في صدره غل للمسلمين" [1] ،فالذي يتجر في الأقوات يعجبه أن يكون الناس في الجدب ليبيع ما عنده بأغلى ثمن [2] .

ثالثاً: الورع:

وهـــو توقـــي كل مشتبه استبراءً للدين والعرض ، وكان السلف يحرصون على الورع في تجارتهم فعن الحسن أن مولى لعثمان بن أبي العاص سأله أن يعطيه مالاً يتجر فيه والربح بينهما فأعطاه عشرين ألفاً فاشترى به الخمر ثم قدم بها الأبلة [3] فخرج إليه عثمان رضي الله عنه فلم يدع منها دناً إلا كسره ولا غيره [4] ، وفي رواية قال عثمان رضـــي الله عـــنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الخمر وشاربها ومشتريها وبائعها وعاصرها وحاملها [5] .

رابعاً: العلم:

والمقصـــود بالعلم هنا علم الكسب الذي يمكن صاحبه من معرفة الحلال والحرام والجائـــز والممنوع ، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: "لا يبع في سوقنا إلا من يفقه ، وإلا أكل الربا شاء أم أبى " [6] .

خامساً: تجنب الحلف والظلم:

ومـــا يجـــب اجتنابه كثرة الحلف في البيع ، فقد قال رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَـــلَّمَ:" إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ [7] ثُمَّ يَمْحَقُ [1] [2] " ، وكذلك ظلم

(١) الهمذاني، الفردوس بمأثور الخطاب، ٥١٨/٣.

(٢) المناوي، فيض القدير، ٣٣٠/٤ .

(٣) والأبلة: بلدة على شاطىء دجلة في العراق وهي أقدم من البصرة. الحموي،معجم البلدان ج: ١ ص: ٧٧.

(٤) الشيباني، الآحاد والمثاني، ١٩٥/٣ .

(٥) الطبراني، المعجم الكبير، ٥٨/٩ . قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع، ٩٠٧/٢ ، رقم ٥٠٩١ .

(٦) أبـــو حـــامد الغـــزال ،ي إحياء علوم الدين، ١٠٢/٢ ، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٨/٥ ، التمهيد لابن عبد البر،٢٤٧/٢..

(٧) مـــن النفاق وهو ضد الكساد ، ويقال : نفقت السلعة فهي نافقة وأنفقتها ونفقتها : إذا جعلتها نافقة. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٩٧/٥ مادة: نفَق .

الـــناس وقصد اضرارهم كل ذلك داخل في الذم قال القرطبي معلقاً على قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٣] : "ويدخل في الآية الـــتاجر الذي يظلم الناس في تجارته" [٤] وقال القرطبي أيضاً:"ويكره للتاجر أن يحلف لأجـــل تـــرويج السلعة وتزيينها، أو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في عرض سلعته، وهو أن يقول: صلى الله على محمد ما أجود هذا" [٥] .

سادساً: السماحة والجود:

الســـماحة في البيع والشراء والتقاضي من أخلاق المؤمنين ، ومن أسباب البركة والفلاح ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـــالَ:" رَحِـــمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا [٦] إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى" [٧] ، قال ابن حجـــر: " وَفِـــيهِ الْحَضُّ عَلَى السَّمَاحَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ وَاسْتِعْمَال مَعَالِي الْأَخْلَاق وَتَرْك الْمُشَـــاحَة وَالْحَضّ عَلَى تَرْك التَّضْيِيق عَلَى النَّاس فِي الْمُطَالَبَة وَأَخْذ الْعَفْوِ مِنْهُمْ" [٨] . والكـــرم من صفات الأنبياء والصالحين وكان مورق العجلي [٩] (ت:١٠٥هـــ) يتجر فيصيب المال فلا تأتي عليه جمعة وعنده شيء منه وكان يلقى الأخ من إخوانه فيعطيه

(١) المحق : النقص والمحو والإبطال ، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٠٣/٤ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب النهي عن الحلف في البيع، ١٦٠٧ .

(٣) الأنعام، الآية : ١٢٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٨٥/٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ١٥٦/٥ .

(٦) أَيْ: سَـــهْلًا ، وَهِـــيَ صِفَة مُشَبَّهَةٌ تَدُلُّ عَلَى الثُّبُوت ، فَلِذَلِكَ كَرَّرَ أَحْوَالَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالتَّقَاضِي ، وَالسَّمْحُ الْجَوَادُ ، يُقَال سَمُحَ بِكَذَا : إِذَا جَادَ. فتح الباري، ٣٠٧/٤ .

(٧) صـــحيح الـــبخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم ٢٠٧٦ . ومعنى اقتضى: طَلَبَ قَضَاءَ حَقِّه بِسُهُولَة وَعَدَم إِلْحَاف. فتح الباري، ٣٠٧/٤ .

(٨) ابن حجر، فتح الباري، ٣٠٧/٤ .

(٩) مورق بن المشمرح العجلي من أحلم أهل البصرة وأكثرهم تعبدا وفضلا . ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١ / ٩٠

أربعمائة ، خمسمائة ، ثلاثمائة ،فيقول: ضعها لنا عندك حتى نحتاج إليها، ثم يلقاه بعد ذلـــك، فيقول: شأنك بها، ويقول الآخر : لا حاجة لي فيها، فيقول: إنا لله وما نحن بآخذيها أبدا شأنك بها [1] .

سابعاً: المبادرة والبكور:

والمقصود بها التبكير في أول النهار بعد أن يأخذ حظه من أوراد الذكر والعبادة، قـــال المقدسي:"فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته، فيواظب على الأوراد، وقد كان صالحو السلف من التجار يجعلون أول النهار وآخره للآخرة، ووسطه للتجارة، وإذا سمع أذان الظهر أو العصر ، فينبغي أن يترك المعاش اشتغالاً بأداء الفـــرض"[2]، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يبادرون السوق من أوله فعن صخر الغامدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم بارك لأمتي في بكورها، وكان إذا بعـــث ســـرية أو جيشاً بعثهم في أول النهار ، وكان صخر رجلاً تاجراً وكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله" [3] .

ثامناً: ملازمة ذكر الله:

لقوـــله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [4]، والاشتغال بالأسواق مظنة اللهو والغفلة فيشرع لكل من اشتغل بها الإكثار من التسبيح والتهليل، حتى لا يشغله عن طاعة الله تعالى.

تاسعاً: تجنب الكسب الحرام:

(١) ابن أبي شيبة، المصنف ١٨١/٧ . ابن أبي عاصم، الزهد ٣١٣/١ .

(٢) المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ٨٦ .

(٣) سنن أبي داود، باب الابتكار في السفر ٢٦٠٦ . قال الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، ٤٩٤/٢، رقم ٢٢٧٠ .

(٤) المنافقون ، الآية : ٩ .

والداعـــية في ممارسته لأي حرفة كانت يجب عليه أن ينضبط بالضوابط الشرعية، لأن كسب المال ليس هدفاً لذاته ، وإنما هو وسيلة لطلب رضوان الله، وإذا أدى العمل بأي حرفة إلى ترك واجب أو فعل محظور حرم ذلك العمل، لأن القيام بالأمر والنهي مقدم على فعل المباح، وهذا هو الفرق بين المؤمن وغيره، فإن غيره ربما جمع المال من أي طريق ، و لم يبال بما جمع ، أجمعه من طريق حلال أو من حرام ، وقد عقد الإمام الـــبخاري: (بَاب كَسْب الْبَغِيّ وَالْإِمَاء. وَكَرِهَ إِبْرَاهِيم أجر النائحة والمغنية)، وساق الحديـــث " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَسْـــبِ الْإِمَـــاءِ"[1]، قال الحافظ بن حجر: كَأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَى أَنَّ الْمَمْنُوع كَسْب الْأَمَة بِـــالْفُجُورِ لَا بِالصَّنَائِعِ الْجَائِزَة ...وَكَأَنَّ الْبُخَارِيّ أَشَارَ بِقول إبراهيم النخعي إِلَى أَنَّ الـــنَّهْي فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة مَحْمُول عَلَى مَا كَانَتْ الْحِرْفَة فِيهِ مَمْنُوعَة أَوْ تَجُرّ إِلَى أَمْر مَمْنُوع شَرْعاً لِجَامِعِ مَا بَيْنهمَا مِنْ اِرْتِكَاب الْمَعْصِيَة[2] .

والداعية أولى الناس بتحري الحلال في كسبه ، وألا يشغله عن طاعة الله وذكره ، فالمؤمنون كما وصفهم الله ﷻ : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [3]: قال شيخ الإسلام بـــن تيمية : " فما كان ملهياً وشاغلاً عما أمر الله تعالى به من ذكره والصلاة له فهو منهي عنه ، وإن لم يكن جنسه محرماً كالبيع والعمل في التجارة"[4].

شبهة حول الاكتساب والرد عليها:

(١) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب كسب البغيّ والإماء ، رقم ٢٢٨٣ .

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري،٤/٤٠٦ .

(٣) النور، الآية : ٣٧ .

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٢/٢٣٥ .

ربما خطر بالذهن سؤال حول النصوص التي نهت عن الاشتغال بالدنيا وتعارضها مع ما قررناه ومن هذه النصوص الحديث المروي" عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: لاَ تَتَّخذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا في الدُّنْيَا"(١) وَيجيب شارح الحديث بأن الْمُرَادَ النَّهْيُ عَنْ الاشْتغَال بهَا وَبأَمْثَالهَا ممَّا يَكُونُ مَانعاً عَنْ الْقيَام بعبَادَة الْمَوْلَى وَعَنْ التَّوَجُّه كَمَا يَنْبَغي إلَى أُمُور الْعُقْبَى . وَقَالَ الطِّيبيُّ: الْمَعْنَى لَا تَتَوَغَّلُوا في اتِّخَاذ الضَّيْعَة فَتُلْهَوْا بهَا عَنْ ذكْر اللَّه قَالَ تَعَالَى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾(٢) وأشار القرطبي: إلى حمله على من اتخذها مستكثراً أو متنعماً أو متمتعاً بزهرتها ، وأما من اتخذها معاشاً يصون بها دينه وعياله فاتخاذها بهذه النية من أفضل الأعمال وهي من أفضل الأموال ، قال عليه الصلاة والسلام : " نعم المال الصالح للرجل الصالح"(٣) (٤)، وهذا خلاف ماذهب إليه بعض المتصوفة من أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صُرِفَ إلى الخيرات إذْ أقل ما فيه اشتغال الهمة بإصلاحه عن ذكر الله (٥) وأشار ابن الجوزي : إلى أن هذا كله مخالف للشرع والعقل وسوء فهم المراد بالمال الذي شرفه الله وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمي وما جعل قواماً للآدمي الشريف فهو شريف فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ (٦) ، ونهى جل وعز أن يسلم المال إلى غير رشيد فقال : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ (٧)، ونهى النبي

(١) رواه الترمذي وحسنه، كتاب الزهد، باب ٢٠ ، رقم:٢٣٢٨ ، وأخرجه أحمد ، المسند، ٣٥٦٩ ، ٤٠٣٨ ، ٤٢٢٢ . وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١١٧ ، رقم:١٢ .

(٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٥١١/٦ .

(٣) ابن حبان ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ٦/٨ .وأخرجه أحمد في المسند، ١٩٧/٤ ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٩١/٢ ، صحح إسناده الألباني، انظر: صحيح الأدب المفرد، رقم ٢٢٩ .

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٢/١١ .

(٥) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ٢٧٣/٣ .

(٦) النساء ، الآية : ٥ .

(٧) النساء ، الآية : ٦ .

صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال فقال ﷺ لسعد ﷺ : " إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ "(١)، وقال ﷺ: " وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ "(٢) . وقال لعمرو بن العاص ﷺ :" نعم المال الصالح للرجل الصالح" (٣)ودعا لأنس وكان في آخر دعائه : "اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ"(٤) ، وقال كعب : " يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ "(٥) ، قال ابن الجوزي: "هذه الأحاديث على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافي التوكل ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهه ليعز ، وأن سلامة القلب من الافتتان به تقل واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر ، فلهذا خيف فتنته ، فأما كسب المال : فإن من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لابد منه ، وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظر في مقصوده ، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود ، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة رقم : ١٢٩٥ ، صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم : ١٦٢٨ .

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر ﷺ ، رقم ٣٦٦١ ، سنن ابن ماجه، المقدمة، فضل أبي بكر ﷺ ، رقم:٩٤ ، مسند الإمام أحمد، ٧٣٩٧ ، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي، ٣/٢٠٠ ، رقم ٢٨٩٤ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول الله ﷻ :(وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)، رقم ٦٣٣٤ ، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الجماعة في النافلة، رقم ٦٦٠ .

(٥) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا تصدق أو أوقف ببعض ماله، ٢٧٥٨ ، صحيح مسلم، كتاب التوبة، حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٢٧٦٩ .

قصده ، وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات ، وقد كانت نيات خلق كثير من الصحابة في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم بجمعه فحرصوا عليه وسألوا زيادته ، ولما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم الزبير حضر فرسه أجرى الفرس حتى قام ثم رمى سوطه فقال : أعطوه حيث بلغ سوطه وكان سعد بن عبادة يقول : اللهم وسع علي وقال إخوة يوسف: ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾[1]، وقال شعيب لموسى : ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾[2]، وأن أيوب لما عوفي نثر عليه رجل من جراد من ذهب فأخذ يحثي في ثوبه ويستكثر منه فقيل له: أما شبعت ، فقال : يا رب فقير يشبع من فضلك. وهذا أمر مركوز في الطباع"[3] . وهكذا تبين لنا أهمية الاكتساب وآدابه وفضله وأنه أمر مشروع .

المبحث الثاني: أهمية الاكتساب في حياة الأنبياء والصالحين :

لما كان الأنبياء عليهم السلام يبلغون عن الله ﷻ أكد الله في كتابه مراراً صفة أساسية من صفاتهم وهي صفة الترفع عما في أيدي الناس، وعدم سؤالهم، قال ﷻ : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4]، ولإلقاء مزيد من الضوء على تلك المعاني سيكون الحديث في هذا المبحث من خلال نقطتين هما:

١ – الاكتساب عند الأنبياء والصالحين.

٢ – شبهة وردها.

وسنتناول تلك النقاط بشيء من البسط فيما يلي:

أولاً: الاكتساب عند الأنبياء والصالحين.

(١) يوسف ، الآية : ٦٥ .

(٢) القصص ، الآية : ٢٧ .

(٣) انظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ٢٢١/١ ، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤١٨/٣ ، ٤١٩ .

(٤) الشعراء ، الآية : ١٠٩ .

الأنبياء قدوة البشر، وهم ذوو همم عالية ونفوس شريفة تتطلع إلى ما عند الله متخذة الكدح الكريم وسيلة للاكتساب بعد التوكل على الله، قال ﷺ:"أطيب الكسب عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور"[1]، وفي قوله ﷻ : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾[2]:"إشارة إلى أن داود عليه السلام كان يصنع الدروع ويكف عن نفسه الحاجة إلى الناس ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس [3]، عن هشام بن عروة [4] (ت:١٤٦) عن أبيه قال كان داود يصنع القفة من الخوص وهو على المنبر ثم يرسل بها يبيعها ويأكل ثمنها"[5] ، ولعل حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام الْقُرْآنُ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّه فَتُسْرَجُ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِه"[6]، أقول: لعل هذا الحديث يفسر الآية السابقة، قال الكرماني:"كان داود عليه السلام يعمل السرد ويبيعه لقُوته"[7] وقال الحافظ ابن حجر " قَوْله: لَا يَأْكُل إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَده " صَرِيحٌ فِي الْحَصْرِ وَفِيه: فَضْل الْعَمَل بِالْيَدِ ، وَتَقْدِيم مَا يُبَاشِرهُ الشَّخْص بِنَفْسِهِ عَلَى مَا يُبَاشِرهُ بِغَيْرِهِ ،

(١) مسند الإمام أحمد، ٥٠٧/٤ ، رقم: ١٥٤٠٩ ، قال الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، ١٦٠/٢ ، رقم: ٦٠٧.

(٢) الأنبياء ، الآيتان : ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٢١/١١ .

(٤) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الإمام الحافظ الحجة قال ابن سعد : ثقة ثبت كثير الحديث توفي سنة ١٤٦هـ ببغداد وله من العمر ثمانون سنة . القيسراني، تذكرة الحفاظ، ١٤٤/١ .

(٥) الكوفي، الزهد، ٣١٤/١ .

(٦) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده ، رقم ٢٠٧٣ .

(٧) صحيح البخاري بشرح الكرماني، ١٩٨/٩ ، وانظر: القسطلاني ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري،٣٣/٥ .

وأن التَّكَسُّـــب لَا يَقْدَح فِي التَّوَكُّل."[1]، قال ابن المنذر: "إنما يفضل عمل اليد سائر المكاسب إذا نصح العامل" . وقال ابن حجر: " ومن شرطه أن لا يعتقد أن الرزق من الكســـب بل من الله تعالى بهذه الواسطة ، ومن فضل العمل باليد الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهو وكسر النفس بذلك والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير"[2].

وفي حكمة آل داود:" حق على العاقل أن لا يرى لاغياً في غير ثلاث : زاد لمعاد، أو حـــرفة لمعـــاش ، أو لذة في غير محرم "[3] . وكان أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام مستغنياً عن الناس ، فقد كان ذا زرع ومال وماشية كثيرة حتى إنه كان يقدم للضيوف الذين لا يعرفهم عجلاً سميناً ، وهذا دليل على الغنى واليسار[4]، وأما زكريا علـــيه السلام فقد ورد " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّاراً "[5]، قال النووي:" قوله صلى الله عليه وسلم كان زكريا نجارا" ، فـــيه جواز الصنائع وأن النجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة ، وفيه فضيلـــة لزكـــريا صلى الله عليه وسلم فانه كان صانعاً يأكل من كسبه ، وقد ثبت قوله صلى الله علـــيه وسلم : " أفضل ما أكل الرجل من كسبه وأن نبي الله داود كان يأكل من عمـــل يده "[6]. و" كان لقمان عبداً حبشياً وكان نجاراً "[7]، وذكر ابن كثير في قوله

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٣٠٦/٤ .

(٢) ابـــن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٣٠٤/٤ . وانظر: الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ٣ /٤ ، ٥ .

(٣) البغدادي، كتاب العقل وفضله،٤٦، ٤٧ .

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٣٧/٨ ، وانظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ٢٢٤/١ .

(٥) صـــحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضائل زكريا عليه السلام، ٢٣٧٩، وانظر:الأزدي، الجامع، ١١/ ٣٠٩.

(٦) النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ١٣٥/١٥ .

(٧) الطـــبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٦٧/٢١ ، وانظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ٤٤٤/٣ ، وانظر: ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، ٧٤/٧.

ﷻ : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾[1]، أن الرجل كان يحبك الحرير ويأكل منه[2]، وقال القرطبي : بأنه كان نجاراً ، وقيل: إسكافياً[3] . وأياً كانت مهنته فإن المهم أنه كان محترفاً وذا مهنة تغنيه عن الناس مع قيامه بالدعوة.

ثانياً: شبهة وردها :

ثمـــة قضية مهمة ذات علاقة بموضوعنا وهي: ظن البعض أن في ممارسة المهنة التي فيها ابتذال للنفس منقصة للمروءة أو إخلالاً بها، وتلك قضية تستحق النقاش ، والحق أن ذلك الظن بعيد عن الصواب ، ويتبين هذا من خلال النقاط التالية:

أولاً: أن الأنبياء هم أول الناس اهتماماً بهذا الأمر فنبي الله نوح عليه السلام كان نجـــاراً، قال تعالى عنه عليه السلام: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[4] وداود عليه الســـلام كان حداداً ، ومع ما يلحق صاحب هذه المهنة من المشقة وبذل الجهد فقد أمره الله بالدوام على شكره فقال سبحانه: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾[5] .

ثانـــياً: في اشتغال الداعية بمهنة مهما كانت في نظر الناس ممتهنة له علاقة بسلوك الإنســـان ، إذ من خلال العمل الشريف يتعود الإنسان على التواضع والاستغناء عن غيره وهو ما أشار إليه القرطبي في حديثه عن تسخير الحديد لداود عليه السلام حيث قـــال: " في الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع وأن التحرف بها لا ينقص من

(١) يس ، الآية : ٢٠ .

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٦٩/٣ .

(٣) القـــرطبي، الجـــامع لأحكـــام القرآن، ١٧/١٥ ، وانظر: أحمد بن حنبل ، العلل ومعرفة الرجال، ط: الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨ هـــ، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ٢١٣/٢ .

(٤) هود، ٣٧.

(٥) الأنبياء ، الآية : ٨٠ .

مناصبهم بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم"[1].

ثالثاً: الصحابة ﷺ كانوا يغنون أنفسهم بالعمل الشريف عن ذل السؤال[2]، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس"[3].

رابعاً: عد أهل العلم تعيير المؤمن بمهنته أو صنعته ضرباً من الإيذاء المحرم الذي يجب على المؤمن أن يترفع عنه وفي ذلك كله إجلال للعمل والاحتراف قال الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (٤) "[5].

المبحث الثالث: أهمية الاكتساب في السنة النبوية :

تتضح أهمية الاكتساب في سنة المصطفى ﷺ من خلال خمس نقاط هي على النحو الآتي :

١ – ممارسته ﷺ للاكتساب قبل الإسلام.

٢ – إجلال ذي الحرفة المكتسب.

٣ – تصحيح المفهوم الخاطئ حول الحرفة والاكتساب.

٤ – الاستفادة من مهارة ذي الحرفة .

٥ – حثه ﷺ أصحابه على الاكتساب .

وسنتناول تلك النقاط بشيء من البسط :

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٤ .

(٢) انظر: الوصابي، البركة في فضل السعي والحركة، ص ٣٠ .

(٣) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٣٣٠/١٨ .

(٤) الأحزاب، الآية : ٥٨ .

(٥) البيهقي، شعب الإيمان، ٢٨٤/٥ .

أولاً: ممارسته ﷺ للاكتساب قبل الإسلام :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتغل بالتجارة قبل الإسلام كما في قصة خروجه إلى الشام بتجارة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها [1] ، وقد أفاده ذلك الاشتغال خبرات شتى وأنماطاً من السلوك مفيدة، ولعل هذا طرف من تدبير الله سبحانه وتعالى لإعداده لحمل أعباء الرسالة ، فالبيع والشراء من أعظم الوسائل في التعرف على طبائع الناس وما جبلوا عليه ومما يدل على ممارسته تلك ما جاء "عن مجاهد عن السائب بن أبي السائب أنه كان يشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام في التجارة ،فلما كان يوم الفتح أتاه فقال: مرحبا بأخي وشريكي لا يداري ولا يماري ، يا سائب قد كنت تعمل أعمالاً في الجاهلية لا تتقبل منك وهي اليوم تتقبل منك ، وكان ذا سلف وصلة" [2] ، وكانت البيئة التي بعث فيها صلى الله عليه وسلم قد اشتهر أهلها بالتجارة فقد كانت هي الغالبة على المهاجرين ومعاش جميع أهل مكة [3] ، ومن أبواب الإمام البخاري في الجامع الصحيح: (باب الخروج في التجارة) ، وقد علق عليه ابن المنير قائلاً: غرض البخاري إجازة الحركات في التجارة ولو كانت بعيدة خلافاً لمن يتنطع ولا يحضر السوق [4] " وقد كان ﷺ يشتغل برعي

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٣٤/٧، ابن حبان، الثقات، ٤٥/١ ، الحاكم ، المستدرك، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ٢٠٠/٣ . قال د/ أكرم العمري: وفيه تدليس أبي الزبير وقد عنعن فالسند ضعيف.السيرة النبوية الصحيحة ١١٢/١.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ١٣٩/٧ ، ابن أبي شيبة، المصنف ٤٠٩/٧ ، ٤١٠ ، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال:رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح٩٤/١ .

(٣) ابن حزم الأندلسي،الإحكام في أصول الأحكام، ١٩٩/٢وانظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٣٢/٨ ، ٥٣٣ ، ١٩٥/١٩ .

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ٢٩٨/٤ .

الغنم على أجر لأهل مكة ، وفي ذلك دليل على أهمية الاكتساب في حياته عليه السلام " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وأنتَ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ[1] لِأَهْلِ مَكَّةَ"[2] ، ولرعي الغنم بالذات علاقة بالنجاح في المحيط الدعوي ، إذ إن معالجة الناس ودعوتهم تتطلب صبراً وأناةً وحلماً ، وهو ما يتعود عليه من يقوم برعي تلك الأغنام، قَالَ الْعُلَمَاء : الْحِكْمَة فِي إِلْهَام الْأَنْبِيَاء مِنْ رَعْي الْغَنَم قَبْل النُّبُوَّة أَنْ يَحْصُل لَهُمْ التَّمَرُّن بِرَعْيِهَا عَلَى مَا يُكَلَّفُونَهُ مِنْ الْقِيَام بِأَمْرِ أُمَّتهمْ ، وَلِأَنَّ فِي مُخَالَطَتهَا مَا يُحَصِّل لَهُمْ الْحِلْم وَالشَّفَقَة لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعْيهَا وَجَمْعهَا بَعْد تَفَرُّقهَا فِي الْمَرْعَى وَنَقْلهَا مِنْ مَسْرَح إِلَى مَسْرَح وَدَفْع عَدُوّهَا مِنْ سَبُع وَغَيْره كَالسَّارِقِ وَعَلِمُوا اخْتِلَاف طِبَاعهَا وَشِدَّة تَفَرُّقهَا مَعَ ضَعْفهَا وَاحْتِيَاجهَا إِلَى الْمُعَاهَدَة ، أَلِفُوا مِنْ ذَلِكَ الصَّبْر عَلَى الْأُمَّة وَعَرَفُوا اخْتِلَاف طِبَاعهَا وَتَفَاوُت عُقُولهَا فَجَبَرُوا كَسْرهَا وَرَفَقُوا بِضَعِيفِهَا وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُد لَهَا فَيَكُون تَحَمُّلهمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَل مِمَّا لَوْ كُلِّفُوا الْقِيَام بِذَلِكَ مِنْ أَوَّل وَهْلَة لِمَا يَحْصُل لَهُمْ مِنْ التَّدْرِيج عَلَى ذَلِكَ بِرَعْيِ الْغَنَم، وَخُصَّتْ الْغَنَم بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا أَضْعَف مِنْ غَيْرهَا ، وَلِأَنَّ تَفَرُّقهَا أَكْثَر مِنْ تَفَرُّق الْإِبِل وَالْبَقَر لِإِمْكَانِ ضَبْط الْإِبِل وَالْبَقَر بِالرَّبْطِ دُونهَا فِي الْعَادَة الْمَأْلُوفَة ، وَمَعَ أَكْثَرِيَّة تَفَرُّقهَا فَهِيَ أَسْرَع انْقِيَاداً مِنْ غَيْرهَا . وَفِي ذِكْر النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ بَعْد أَنْ عُلِمَ كَوْنه أَكْرَم الْخَلْق عَلَى اللَّه مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَظِيم التَّوَاضُع لِرَبِّهِ وَالتَّصْرِيح بِمِنَّتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَانه مِنْ الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِر الْأَنْبِيَاء[3].

(١) قراريط: جمع قيراط وهو الجزء من الدينار، ابن حجر، فتح الباري، ٤٤١/٤ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، رقم: ٢٢٦٢ .

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ٤٤١/٤ .

ثانياً: إجلال ذي الحرفة المكتسب:

وإجلال ذوي الحرف مسلك نبوي رشيد، فقد كان ﷺ يأكل مع صاحب الحرفة وهو الرجل الخياط الذي دعاه إلى طعام، فمع شرفه ﷺ لم يستنكف إجابة دعوته وفي ذلك تقدير للعمل والعمال وأصحاب الحرف " عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: إِنَّ خَيَّاطاً دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ ، قَالَ أَنَسٌ فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُهُ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيْ الْقَصْعَةِ ، قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ"(١)، قال الحافظ بن حجر:" وَفِي الْحَدِيث جَوَاز أَكْل الشَّرِيف طَعَام مَنْ دُونه مِنْ مُحْتَرِف وَغَيْره وَإِجَابَة دَعْوَته ، وَمُؤَاكَلَة الْخَادِم ، وَبَيَان مَا كَانَ فِي النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ التَّوَاضُع وَاللُّطْف بِأَصْحَابِهِ وَتَعَاهُدهمْ بِالْمَجِيءِ إِلَى مَنَازِلهمْ ، وَفِيهِ الْإِجَابَة إِلَى الطَّعَام"(٢).

ثالثاً: تصحيح المفهوم الخاطئ حول الحرفة والاكتساب:

من المفاهيم الخاطئة احتقار ذوي المهن ولقد جاء الرسول ﷺ بتصحيح المفاهيم الخاطئة، والنظرات القاصرة ومنها نظرة الناس إلى الحرف والمحترفين، فقد صحح النبي صلى الله عليه وسلم هذا المفهوم بصور شتى، ومنها:

أولاً: الممارسة العملية لمهنة من المهن، كما أخبر ﷺ أنه رعى الغنم بأجر.

ثانياً: التصرف الملفت للنظر المؤدي للغرض ذاته، وذلك حينما أجاب دعوة الرجل الخياط، كما أجاب دعوة الجزار واللحام " عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ:

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الأطعمة، باب من تتبع حوالي القصعة مع صاحبه ، ٥٣٧٩ .

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ٩/٥٢٥ .

كَـــانَ مِـــنْ الْأَنْصَارِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو شُعَيْبٍ ، وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ لَحَّامٌ فَقَالَ : اصْنَعْ لِي طَعَامًـــا أَدْعُـــو رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[1] ، وَفِي الْحَدِيثِ: " إِجَابَةِ الْإِمَامِ وَالشَّرِيفِ وَالْكَبِيرِ دَعْوَةَ مَنْ دُونَهُمْ وَأَكْلِهِمْ طَعَامَ ذِي الْحِرْفَةِ غَيْرِ الرَّفِيعَةِ كَالْحَزَّارِ وأن تَعَـــاطِيَ مِـــثْلِ تِلْكَ الْحِرْفَةِ لَا يَضَعُ قَدْرَ مَنْ يَتَوَقَّى فِيهَا مَا يَكْرَهُ ، وَلَا تَسْقُطُ بِمُجَرَّدِ تَعَاطِيهَا شَهَادَتُه " [2].

ثالثاً: استرضاعه ﷺ لابنه إبراهيم عند زوجة حدَّاد يمارس الحدادة، في وقت كان العرب يحرصون على استرضاع أولادهم من القبائل الشريفة، ولا سيما إذا وضعنا في الذهن ما جاء في بعض الروايات من أن نساء الأنصار تنافسن على رضاعته[3] ، ولعله بهـــذا العمل يريد رفع نظر الناس إلى أصحاب الحرف والصناعات بعد أن استهجنها الـــناس أو كـــادوا[4] . " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ: وُلِـــدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ امْرَأَةِ قَـــيْنٍ[5] يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِيرِهِ قَدْ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَاناً "[6].

رابعاً: الاستفادة من مهارة ذي الحرفة:

والمجتمع المسلم يحتاج إلى ذوي المهن المتعددة، من صناعة إلى زراعة، إلى نجارة ،

(١) صـــحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الرجل يتكلف الطعام لإخوانه، رقم ٥٤٣٤ ، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام، ٢٠٣٦ .

(٢) ابن حجر، فتح الباري،٩/٥٦٠ .

(٣) انظر: ابن سعد،الطبقات الكبرى،١/١٣٦،وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٧٣/٣.

(٤) انظر:العمري،الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسولﷺ ، ٤٣،٤٤ .

(٥) (الْقَـــيْن) بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُون التَّحْتَانِيَّة بَعْدهَا نُون هُوَ الْحَدَّاد ، وَيُطْلَق عَلَى كُلّ صَانِع ، يُقَال : قَانَ الشَّيْء إِذَا أَصْلَحَهُ. انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٧٣/٣ .

(٦) صـــحيح البخاري، كتاب لجنائز، باب قول النبي ﷺ : " إنا بك لمحزونون"، رقم ١٣٠٣ ، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، رقم ٢٣١٥ .

وتجارة، حتى إن النبي ﷺ استفاد من غلام لامرأة من الأنصار – وكان نجاراً حاذقاً – في صناعة منبر يصعد عليه ﷺ لخطبة الجمعة " عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَكَانَ لَهَا غُلَامٌ نَجَّارٌ قَالَ لَهَا مُرِي عَبْدَكِ فَلْيَعْمَلْ لَنَا أَعْوَادَ الْمِنْبَرِ "[1] .

خامساً: حثه ﷺ أصحابه على الاكتساب:

وإذا كـــان من منهج الإسلام حث أتباعه على الاكتساب والاعتماد على النفس وعـــده باباً من الشرف كبيراً فإن الإسلام لم يكتف بالتوجيه النظري والحث القولي فقط كما قال ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَـــيْرٌ لَـــهُ مِـــنْ أَنْ يَـــأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْمَنَعَهُ"[2]، بل تعداه إلى ممارسة تعليم الاكتساب ومهارات الاحتراف وفي الحديث "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ جَـــاءَ إِلَـــى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ فَقَالَ : لَكَ فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ، قَالَ : بَلَى حِلْـــسٌ[3] نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَدَحٌ نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ قَالَ ائْتِنِي بِهِمَا قَالَ فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ ، فَقَـــالَ : رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ قَالَ مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا قَالَ : رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ ، فَفَعَلَ فَأَخَذَهُ رَسُولُ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب من استوهب من أصحابه شيئاً ، رقم ٢٥٦٩ .

(٢) صـــحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم ١٤٧٠ ، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم ١٠٤٢ .

(٣) حِلْـــسٌ بِكَسْرِ مُهْمَلَة وَسُكُون لَامَ: كِسَاء غَلِيظ يَلِي ظَهْر الْبَعِير تَحْت الْقَتَب . شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٣٧/٥ .

اللَّـــهِ صَـــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَدَّ فيه عُوداً بيَده ، وَقَالَ : اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَلَا أَرَاكَ خَمْسَـــةَ عَشَرَ يَوْماً فَجَعَلَ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ ، فَقَالَ : اشْـــتَرِ بِبَعْضِهَا طَعَامًا وَبِبَعْضِهَا ثَوْبًا ثُمَّ قَالَ هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ وَالْمَسْأَلَةُ نُكْتَةٌ فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ"[1].

لقـــد كـــان ﷺ يرسم للرجل طريقة العمل الصحيحة، المغنية عن الناس، وهي الاشتغال بطلب الكسب الحلال الذي ينبغي أن يتصف به ويحرص عليه الداعية حتى لا يكـــون كـــلاً على الآخرين. ولا ريب أن عدم حاجة الداعية لمن يدعوهم من أعظم الأســـباب بعد توفيق الله في قبول الدعوة، بخلاف الداعية الذي يمد يده، أو يطمع في مـــال غـــيره فأنى يستجاب لدعوته، ولقد كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال الحديـــث المذكور آنفاً، يمارس تعليم تلك المهارة للرجل خطوة خطوة، وذلك حينما ســـأله عما يملك قائلاً له:" لَكَ فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟" فيجيب الرجل بأنه يملك كساءً لا يساوي في نظره فلسين أحمرين، وقدحاً يشرب فيه الماء وأهله، فيأمره ﷺ أن يأتي بهما، ويعلـــن ﷺ عـــن رغبته في بيعهما وكانت حصيلتها درهمين اثنين قسمهما النبي ﷺ قســـمين: أحدهمـــا يشتري به طعاماً له ولأهله، والآخر: يشتري به آلة الكسب، ثم يشـــرح لـــه الـــنبيُّ ﷺ مـــرة أخرى طريق الاكتساب في تطبيق مرحلي مرئي ينقل الخبرة،ويرســـم لـــه منهجاً أساسياً للعمل، قال شمس الحق العظيم آبادي: "أَحْكَمَ فِي الْقَـــدُوم مِقْبَضًـــا مِنْ الْعُود وَالْخَشَب لِيُمْسِك بِهِ الْقَدُوم لِأَنَّ الْقَدُوم بِغَيْرِ الْمِقْبَض لَا

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب التجارات ، باب بيع المزايدة، رقم ٢١٩٨ ، وأخرجه أبوداود،كتاب الزكاة، باب ما تجـــوز فـــيه المسألة، ١٦٤٠ ، وأخرجه الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في بيع من يزيد، ١٢١٨ ، قال الـــترمذي:هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث الأخضر بن عجلان قال يحيى بن معين عنه: صالح، وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه . انظر: شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ٣٨/٥ .

يَسْتَطِيع الرَّجُل بِهِ قَطْع الْحَطَب وَغَيْره بِلَا كُلْفَة فَلذَلِكَ فَعَلَهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفَضُّلًا وَامْتِنَاناً عَلَيْهِ "[1] ،ثم قال له بعد أن أعطاه القدوم: " وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا " : وَالْمُرَاد حث الرجل على الاكْتِسَاب وملازمته فِي هَذِهِ الْمُدَّة [2]، ولقد نجحت التجربة مع هذا الرجل، فها هو يغدو ويروح في السوق ، ويأتي بعد زمن وقد أصاب عشرة دراهم، فيوجهه النبي ﷺ قائلاً له:"اشْتَرِ بِبَعْضِهَا طَعَاماً وَبِبَعْضِهَا ثَوْباً ثُمَّ قَالَ: هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ وَالْمَسْأَلَةُ نُكْتَةٌ فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

ليس أيسر على المرء أن يأمر بفعل أو ينهى عنه ، ولكن الأجلَّ والأعظم أن يقدم مع الأمرين البدائل العملية التي تقنع المدعو وتجعله عضواً بناءً في المجتمع يؤثر العمل ويشارك في بناء المجتمع والحضارة وهو ما فعله ﷺ في تعليم حرفة العمل والتكسب، بعد أن كان الرجل آيساً من نفسه، متطلعاً إلى سؤالهم لا يرى غير المسألة والمذلة طريقاً يسد به حاجته. وهكذا تبين لنا من خلال هذا المبحث أهمية الاكتساب في السنة النبوية .

المبحث الرابع: ممارسة الصحابة رضي الله عنهم للاكتساب :

لقد كان العمل حلاً لكثير من الهموم والمشكلات التي كان يعاني منها المسلمون، فبعد هجرة المسلمين إلى المدينة، كان من أبرز القضايا التي واجهت النبي ﷺ وتصدى لحلها قلة ذات اليد لدى المهاجرين، الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، فحثهم النبي ﷺ على الاكتساب حتى لا يكونوا عالة على إخوانهم الأنصار الذين بسطوا إليهم معروفهم منذ أول لحظة من

(١)شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٣٧/٥ .

(٢) انظر: شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٣٧/٥ .

وصـــولهم، وللوقـــوف على نشاطهم في الاكتساب فسنتناول هذا المبحث من خلال نقطتين على النحو الآتي :

١ – مبادرة الصحابة رضي الله عنهم للاكتساب في المجتمع المدني.

٢ – ملازمة الصحابة رضي الله عنهم للاكتساب.

وسنبسط الحديث عن تلك النقطتين:

أولاً: مبادرة الصحابة رضي الله عنهم للاكتساب في المجتمع المدني:

لقد كان النبي ﷺ يقول لأصحابه : " وَالَّذي نَفْسي بيَده لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِـــبَ عَلَى ظَهْرِه خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْمَنَعَهُ"(١)، وَفي ذلك توجيه للأمة للارتفاع عن مذلة السؤال ولو أجهد المرء نفسه في طلب العيش أو عمل في مهـــنة مذلـــة "وَلَوْلَا قُبْحُ الْمَسْأَلَة فِي نَظَر الشَّرْع لَمْ يُفَضَّلْ ذَلكَ عَلَيْهَا وَذَلكَ لمَا يَدْخُـــلُ عَلَـــى السَّـــائل مَنْ ذُلِّ السُّؤَال وَمِنْ ذُلِّ الرَّدِّ إذَا لَمْ يُعْطَ وَلمَا يَدْخُلُ عَلَى الْمَسْؤول مِنْ الضِّيق فِي مَاله إنْ أَعْطَى كُلَّ سَائل(٢). وانطلاقاً من ذلك التوجيه النبوي اتفق المهاجرون عند مقدمهم المدينة مع إخوانهم الأنصار أهل الأرض على القيام بأعباء الـــزراعة مقـــابل الثمار، ولا ريب أن تلك المبادرة إبداع حضاري جديد للمجتمع الناشـــيء الذي يسعى لتثبيت قدميه في المدينة النبوية، ففي هذا المشروع إحياء لأراض يملكهـــا المســـلمون، وفـــيه حـــل لمشكلة الفقر، كما أن فيه إحياءً لروح التكافل الاجـــتماعي، " عَنْ أَنَس بْن مَالك رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا قَدمَ الْمُهَاجرُونَ الْمَدينَةَ مِـــنْ مَكَّـــةَ وَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ يَعْنِي شَيْئاً وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَهْلَ الْأَرْض وَالْعَقَار فَقَاسَمَهُمْ

(١) صـــحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم ١٤٧٠ ، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم ١٠٤٢ .

(٢) ابـــن حجر، فتح الباري، ٣٣٦/٣ ، وانظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ٢٨٨/٣ ، وانظر: ابن عبد البر، التمهيد، ٣٢١/١٨.

الْأَنْصَـــارُ عَلَى أَنْ يُعْطُوهُمْ ثِمَارَ أَمْوَالِهِمْ كُلَّ عَامٍ وَيَكْفُوهُمْ الْعَمَلَ وَالْمَؤونَةَ"[1].وقد كان المهاجرون ذوي نفوس كبيرة وهمم عالية ، فمع هذا الكرم والإيثار من الأنصار نرى المهاجرين يقابلون ذلك كله بتعفف وصبر ، فهذا عبد الرحمن بن عوف ﷺ كان تاجراً غنياً، وقد جمع ماله من التجارة[2]، كان يقول:" يا حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي "[3]، وأما ممارسته العملية لذلك يبينه ما جاء "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ فَآخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَـــعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ وَعِنْدَ الْأَنْصَارِيِّ امْرَأَتَانِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ فَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ فَأَتَى السُّوقَ فَرَبِحَ شَيْئاً مِـــنْ أَقِطٍ وَشَيْئاً مِنْ سَمْنٍ ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ ، فَقَالَ : مَهْيَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ : تَزَوَّجْتُ أَنْصَارِيَّةً قَالَ: فَمَا سُقْتَ إِلَيْهَا قَـــالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ : أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ"[4]، وبالنظر في هذا الحديث يمكننا الخـــروج بفوائد منها: أن على الداعية أن يكون طموحاً عالي الهمة من خلال ممارسة الاكتســـاب وذلك باستغلال مواهبه وقدراته العقلية والنفسية كما فعل هذا الصحابي الجلـــيل حـــين مارس التجارة وربح فيها، وفيه أيضاً عدم الترفع عن الاكتساب فإن مباشـــرة الكبار التجارة بأنفسهم مع وجود من يكفيهم ذلك من وكيل وغيره دليل

(١) أخرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب فضل المنيحة، رقم ٢٦٣٠ .

(٢) الطـــبراني، المعجـــم الكـــبير، ١٢٩/١ ، وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨١/١ ، وانظر للمؤلف ذاته، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، ١/ ٦٣٨، وانظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٢١/٦ ، وانظر: المزي ، تهذيب الكمال ، ٣٢٧/١٧.

(٣) الوصابي، البركة في فضل السعي والحركة، ٢٣ .

(٤) رواه الـــبخاري ، كـــتاب النكاح، باب قول الرجل لأخيه: انظر أي زوجتي شئت، رقم ٥٠٧٢ ، وأخرجه مسلم، كتاب النكاح ، باب الصداق وكونه تعليم قرآن وخاتم حديد، رقم ١٤٢٧ .

على أن الصحابة كانوا يحبون الاكتساب[1] وفيه إشارة إلى وجوب محافظة الداعية على مروءته وذلك بكراهته قبول ما يتوقع منه الذل من هبة وغيرها، وأن العيش من عمل المرء بتجارة أو حرفة أولى لتراهة الأخلاق من العيش بالهبة ونحوها.[2]

ثانياً: ملازمة الصحابة رضي الله عنهم للاكتساب.

ومن توجيهات الإسلام القولية وتطبيقات النبي ﷺ العملية ورث الصحابة رضي الله عنهم هذا المنهج ، فكانوا يلازمون التكسب ويعدونه وسيلة للعيش الكريم، مر عمر رضي الله عنه بقوم فقال :" ما أنتم؟ قالوا : متوكلون قال : لا بل أنتم متأكلون، إنما المتوكل من ألقى حبه في الأرض وتوكل على ربه"[3]، ولما هم ﷺ بفرض العطاء استشار المهاجرين والأنصار في ذلك فكلهم أشار عليه بصوابه إلا حكيم بن حزام ﷺ [4] (ت: ٥٤ هـ) فقد كان ذا رأي مخالف لما رآه عمر، قال ﷺ:" إن قريشاً أهل تجارة ومتى فرضت لهم العطاء خشيت أن يتكلوا عليه فيدعوا التجارة فيأتي بعدك من يحبس عنهم العطاء وقد خرجت منهم التجارة"[5]، لقد كان أخشى ما يخشاه ذلك الصحابي الجليل ﷺ هو شيوع روح الاتكالية في المجتمع، وترك التجارة التي عرف بها المسلمون في مكة،والاعتماد على ما يفرض لهم من بيت المال، وفي ذلك إذلال لتلك النفوس الأبية والهمم العالية ، إن أقل أضرار شيوع تلك الروح في المجتمع الإخلاد إلى الراحة والاعتماد على الآخرين وشيوع الكسل بين أفراد الأمة وكفى بذلك نقصاً

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١١٧/٩ ، ٣٢٠/٤ .

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٢٣٥/٩.

(٣) المناوي، فيض القدير، ٢٩٠/٢ .

(٤) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وهو من أشراف قريش، ولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة وتوفي سنة: ٥٤ هـ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ٤٤/٣ .

(٥) المزي، تهذيب الكمال، ١٨٩/٧ .

وتشويهاً لصورة الحياة الإسلامية ، ولا ريب أن رأي الصحابي الجليل حكيم بن حزام ﷺ رأي حصيف وهو دليل على ما يتمتع به من بعد نظر وتقدير حصيف للأمور.

و لم يكن الصحابة ﷺ يعتمدون على غيرهم في معاشهم بل كانوا يمارسون الحياة بإيجابية فيحرثون ويزرعون ويشتغلون بالبيع والشراء مع لزوم طاعة الله في كل أمر من أمورهم ، كما قالت أم المؤمنين عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَّالَ أَنْفُسِهِمْ وَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ[1] فَقِيلَ لَهُمْ لَوْ اغْتَسَلْتُمْ"[2]، وكان عمر ﷺ يجمع بين الكدح الكريم وطلب العلم فهو يتناوب مع جاره الأنصاري في النزول على الرسول ﷺ " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنهم قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ يَوْمًا وأنزلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ "[3] مما جعل الحافظ بن حجر يشير إلى أن طالب العلم والداعية لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ليستعين على طلب العلم وغيره مع أخذه الحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته لما علم من حال عمر أنه كان يتعاطى التجارة إذ ذاك"[4].

وكان علي بن أبي طالب ﷺ يقول: " إن الجنة مشتاقة إلى أصحاب الغموم والهموم من طلب الحلال"[5]، وكان يمارس البيع والشراء ليقضي حوائجه ويغني نفسه

(١) مفردها ريح والجمع أرواح . انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٣٠٣/٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٣٠٣/٤ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، رقم ٨٩ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، ١٤٧٩ .

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ١٨٦/١ .

(٥) الوصابي، البركة في فضل السعي والحركة، ص ٢٩ .

"عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ قَالَ : أَصَبْتُ شَارِفًا [1] مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَغْنَمٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، قَالَ : وَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَارِفًا أُخْرَى فَأَنَخْتُهُمَا يَوْمًا عِنْدَ بَابِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وأنا أُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ عَلَيْهِمَا إِذْخِراً لِأَبِيعَهُ وَمَعِي صَائِغٌ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَأَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى وَلِيمَةِ فَاطِمَةَ"[2]، ويدل الحديث على ملازمة الصحابة للبيع والشراء ولو في شيء يسير كالاحتشاش الذي كان علي ﷺ يفعله للتكسب من خلال بيعه وأن ذلك لا ينقص المروءة وفي أنه لا ضير من الاستعانة في كل صناعة بالعارف بها[3]، وكان يشتغل بيده في الإجارة وغيرها ، وذلك أنه احتاج إلى المال فخرج فلقي يهودياً يروي الماء ففاوضه على أن يغرف عنه الماء بكل دلو تمرة" قَالَ عَلِيٌّ ﷺ : خَرَجْتُ فَأَتَيْتُ حَائِطًا ، قَالَ : فَقَالَ دَلْوٌ بِتَمْرَةٍ ، قَالَ فَدَلَّيْتُ حَتَّى مَلَأْتُ كَفِّي ثُمَّ أَتَيْتُ الْمَاءَ فَاسْتَعْذَبْتُ يَعْنِي شَرِبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطْعَمْتُهُ بَعْضَهُ وَأَكَلْتُ أَنَا بَعْضَهُ"[4].

وكان ربيعة بن الحارث رضي الله عنه[5] (ت:١٣ هـ) شريكا لعثمان رضي الله عنه في التجارة[6]، وكان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار يكني أبا معلق[7] رضي الله عنه وكان يتجر بمال له ولغيره يضرب به في الآفاق وكان

(١) الشارف: الناقة العالية السن . الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ٢٣٥/٢ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب بيع الحطب والكلأ، رقم ٢٣٧٥ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، ١٩٧٩ .

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٤٣/١٣ ، وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ٢٠١/٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، رقم ٦٨٩ ، ١١٣٨ . وأخرجه ابن ماجه بسند صححه ابن السكن، كتاب الرهون، باب الرجل يستقي كل دلو بتمرة، ٨١٨/٢ ، رقم ٢٤٤٦ ، ٢٤٤٧ ، وجود إسناده الحافظ بن حجر . انظر: ابن حجر، تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، ٦١/٣ .

(٥) الصحابي الجليل ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، أسلم بعد الخندق، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم الفتح وحنينا وابتنى دارا بالمدينة وتوفي في خلافة عمر. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٥٨/١ .

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٥٨/١ .

(٧) لـه صحبة. ولم أقف على اسمه، واشتهر في كتب التراجم بكنيته ولم يذكر نسبه ولا تاريخ وفاته، انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة،٣٧٩/٧ ، ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٢٩٥/٥، وقد

ناســـكا ورعا [1] وعن الحارث بن لقيط قال:" كان الرجل منا تُنتَجُ فرسُه فينحرها، فيقول: أنا أعيش حتى أركب هذا؟ فجاءنا كتاب عمر رضي الله عنه: أن أصلحوا ما رزقكم الله ، فإن في الأمر تنفساً"[2]، ولقد كان أبو الدرداء ﷺ (ت:٣٢هـــ) تاجراً قـــبل الإســـلام، فلما أسلم أراد الجمع بين التجارة والعبادة فلم يستقم له ذلك فترك الـــتجارة وأقـــبل عـــلى العبادة، والناس يتفاوتون في ذلك تفاوتاً كبيراً تبعاً لقدراتهم الفـــردية، قال الذهبي:"والأفضل جمع الأمرين مع الجهاد ، وهذا الذي قاله هو طريق جماعة من السلف ولا ريب أن أمزجة الناس تختلف في ذلك فبعضهم يقوى على الجمع كالصدّيق وعبد الرحمن بن عوف ... وبعضهم يعجز ويقتصر على العبادة ، وبعضهم يقـــوى في بدايـــة ثم يعجز وبالعكس ، وكل سائغ ولكن لا بد من النهضة بحقوق الـــزوجة والعيال"[3]. ومما يدل على ملازمة بعض الصحابة للاكتساب ما ذكره ابن الجـــوزي أن ابـــن مسعود رضي الله عنه[4](ت: ٣٣ هـــ) خلّف تسعين ألفا[5]، أما طـــلحة رضي الله عنه [6](ت: ٣٦ هـــ) فقد خلف ثلاثمائة بهار [7] في كل بهار ثلاثة

أورده المقدســـي تحت باب بعنوان: ذكر رجال من الأنصار لم يعرف من أي قبائل الأنصار هم وذكره بكنيته فقط و لم يذكر اسمه. انظر: المقدسي، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، ٣٤٢ .

(١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ١٥٤/١ .

(٢) الـــبخاري، الأدب المفـــرد، ص ١٢٦، رقم ٤٧٨ ، وصححه الألباني، صحيح الأدب المفرد، ١٨٠ ، رقم : ٣٧٠ .وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني، ١٢/١، رقم ٩ .

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٣٨/٢ ، وانظر: العسقلاني، تهذيب التهذيب، ١٥٦/٨، المزي، تهذيب الكمال، ٤٧٢/٢٢

(٤) الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي كان من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين شهد بدرا وهاجر الهجرتين وغيرها . ٦٤/١ .

(٥) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ٢٢٣/١ .

(٦) هـــو الصـــحابي الجلـــيل طـــلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي التيمي، أحد السابقين والمبشرين بالجنة حضر أحداً وغيرها من المشاهد . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٦/١ .

(٧) البهار: ما يحمل على البعير بلغة أهل الشام وهو ثلاثمائة رطل . ابن الجوزي، غريب الحديث، ٩٢/١ .

قناطير،والزبير بن العوام رضي الله عنه [1] (ت:٣٦هـ) أحد المبرزين في الاشتغال بالتجارة ، وكان ماله خمسين ألف ألف ومائتي ألف ، قال ابن عبد البر: "كان الزبير رضي الله عنه تاجراً مجدوداً في التجارة وقيل له يوما : بم أدركت في التجارة ما أدركت ؟ فقال : إني لم أشتر عينا و لم أرد ربحا والله يبارك لمن يشاء"[2]، ولما قتل ﷺ لم يخلف ديناراً ولا درهماً وإنما خلف أرضين مِنْهَا الْغَابَةُ[3] وَإِحْدَى عَشْرَةَ دَاراً بِالْمَدِينَةِ وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ وَدَاراً بِالْكُوفَةِ وَدَاراً بِمِصْرَ"[4]، وقد لحقه دين عظيم ولكن بفضل الله ثم ما تركه من عقار وفى بدينه، ويشير الحافظ بن حجر إلى "بركة العقار والأرض لما فيه من النفع العاجل والآجل بغير كثير تعب ولا دخول في مكروه كاللغو الواقع في البيع والشراء"[5].

وكان عبد الله بن سلام ﷺ [6] (ت:٤٣ هـ) يحمل على رأسه الحطب فإذا قيل له : أليس قد أغناك الله عن هذا ؟ أجابهم بأنه يريد تعويد نفسه على الاشتغال بالكسب المؤدي إلى التواضع[7] .

وهذا أبو هريرة ﷺ (ت:٥٨ هـ)يقبل من السوق وعلى ظهره حزمة حطب يبيعها وهو أمير[8]،وكان سعد بن عائذ القَرَظ[1] (ت:٧٤ هـ) إنما جاء لقبه من

(١) هو الصحابي الجليل الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، أسلم وعمره ثمان سنوات . الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ٤١/١ .

(٢) القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٥١٤/٨ .

(٣) أرض شهيرة في عوالي المدينة. ابن حجر، فتح الباري، ٢٣٠/٦ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب بركة الغازي في ماله حياً وميتاً، رقم ٣١٢٩ .

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ٢٣٥/٦ .

(٦) الصحابي الجليل عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، كان اسمه الحصين فغيره النبي صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله، أسلم وقت الهجرة، وهو من خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤١٣/٢ .

(٧) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ٤٧٠/٣ ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، وانظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢٦/١ .

(٨) انظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ٦١٤/٢ ، وانظر: الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٢/٢ .

تجارتـــه التي كان يعمل بها ، وقد سأل بعض ولده لم سمي القَرَظ ؟ فقالوا: لأنه كان يتجر فكلما اتجر في شيء نقص حتى اتجر في القَرَظ[٢] فربح فيه فلزم التجارة[٣]، ويقول عمار : أن سعداً أباه شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلة ذات يده فأمره بالتجارة، فخـــرج إلى السوق فاشترى شيئا من قرظ فباعه فربح فيه فأخبر النبي صلى الله عليه وســـلم بذلـــك ، فأمره بلزوم ذلك فلزمه فسمى سعد القرظ[٤]،[٥] كما أن العمل بالتجارة كان فاشياً فيهم في الجاهلية وبعد الإسلام، إلا أن المسلمين خشوا من العمل بالتجارة في الحج فجاء القرآن الكريم مقرراً أن ذلك لا ينافي المقاصد الشرعية إبطالاً لما كـــان عليه المشركون الذين يرون العمل بالتجارة للمحرم حراماً[٦]، " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِـــيَ اللَّـــهُ عَنْهُمَا كَانَ ذُو الْمَجَازِ[٧]وَعُكَاظٌ[٨] مَتْجَرَ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَ

(١) سعد بن عائذ القرظ المؤذن المديني الأنصاري مولى عمار بن ياسر كان يؤذن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء وكذلك في أيام أبي بكر له صحبة . انظر:أبو حاتم الرازي، ٨٨/٤ ، وانظر: ابن حبان، الثقات، ١٥٣/٣ .

(٢) القَرَظ: شجر يدبغ به وقيل هو ورق السلم يدبغ به الأدم ومنه أديم مقروظ وقد قرظته أقرظه قرظا قال أبو حنيفة: القرظ أجود ما تدبغ به الأهب في أرض العرب وهي تدبغ بورقه وثمره. ابن منظور، لسان العرب، مادة:قرظ،٤٥٤/٧ .

(٣) محمـــد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري الجعفي، التاريخ الصغير، ٦٧/١ ، ٤٦/٤ ، وانظر: أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ٨٨/٤ ، وانظر: المزي، تهذيب الكمال، ٢٧٦/١٠ .

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤١١/٣ .

(٥) تلبيس إبليس، ٢٢٤/١ .

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢٣٧/٢ .

(٧) ذو المجاز: من أشهر أسواق العرب في الجاهلية بعرفة، و لازال موضعه معلوماً بسفح جبل كبكب. البلادي، معجـــم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط:ص ٢٧٨ . وانظر:شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، ص ٢٣٩ .

(٨) كـــان سوقاً في الجاهلية، له ذكر في السيرة النبوية، ويقع في الجهة الشرقية الشمالية من بلدة الحوية اليوم، وهو شمـــال شـــرق الطائف على بعد خمسة وثلاثين كيلاً في أسفل وادي شَرب وأسفل وادي العرج عندما يلتقيان هناك. شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ١٩٩ .

الْإِسْلَامُ كَأَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَلِكَ حَتَّى نَزَلَتْ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [1] فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ " [2].

واستمرت تلك الأسواق في نشاطها التجاري يغشاها الناس إلى سنة مائة وسبع وتسعين من الهجرة على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التسليم[3].

وقد كان كثير من الناس في زمن الرسول ﷺ يأكل من عمل يده حتى إن رجلاً لما سمع ابن عباس رضي الله عنهما ينهى عن التصاوير قال له:"إِنِّي إِنْسَانٌ إِنَّمَا مَعِيشَتِي مِنْ صَنْعَةِ يَدِي "[4] فنهاه ابن عباس عن تصوير ذوات الأرواح .

و لم يكن أمر الاشتغال بالبيع والشراء خاصاً بالرجال فحسب بل ربما فرضت الحاجة على النساء الاشتغال بذلك " عَنْ رَائِطَةَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُمِّ وَلَدِهِ رضي الله عنهما وَكَانَتْ امْرَأَةً صَنَاعَ الْيَدِ قَالَ وَكَانَتْ تُنْفِقُ عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ مِنْ صَنْعَتِهَا قَالَتْ فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، لَقَدْ شَغَلْتَنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ عَنْ الصَّدَقَةِ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَدَّقَ مَعَكُمْ بِشَيْءٍ ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللَّهِ : وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ أَنْ تَفْعَلِي فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرَأَةٌ ذَاتُ صَنْعَةٍ أَبِيعُ مِنْهَا وَلَيْسَ لِي وَلَا لِوَلَدِي وَلَا لِزَوْجِي نَفَقَةٌ غَيْرَهَا وَقَدْ شَغَلُونِي عَنْ الصَّدَقَةِ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ ، فَهَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِيمَا أَنْفَقْتُ قَالَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْفِقِي عَلَيْهِمْ فَإِنَّ لَكِ فِي ذَلِكَ أَجْرَ مَا أَنْفَقْتِ

(١) البقرة ، الآية : ١٩٨ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب التجارة أيام الموسم والبيع في أسواق الجاهلية، رقم١٧٧٠ .

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٥٩٤/٣ .

(٤)أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح، رقم ٢٢٢٥ .

عَلَـــيْهِمْ"[1] . وهكذا تبين لنا من خلال الأمثلة ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من اشتغال بطلب الرزق مع القيام بالدعوة .

(١) أخـــرجه الإمـــام أحمـــد ، المسند ، ٥٦٢/٤ ، رقم ١٥٦٥٦ . والطبراني في المعجم الكبير، ٢٦٤/٢٤ ،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: في إسناده ابن إسحاق وهو مدلس ولكنه ثقة وقد توبع ، مجمع الزوائد. ٣ / ١١٨.

المبحث الخامس: ممارسة السلف للاكتساب :

أولاً: أقوال السلف في ممارسة الاكتساب :

ليس بدعاً من الأمر اهتمام السلف الصالح بأمر الاكتساب فهم تتلمذوا على أيدي صحابة رسول الله ،قال أكثم بن صيفي[1](ت: ٩ هـ):" عليكم بالمال فأصلحوه، ولا يتكلن أحدكم على مال أخيه يرى أن فيه قضاء حاجته، فمن فعل ذلك كان كالقابض على الماء، ومن استغنى كرم على أهله"[2]، وسأل رجل الإمام أحمد قائلاً : هذه أربعة دراهم : درهم من تجارة برة ، ودرهم من صلة الإخوان، ودرهم من التعليم، ودرهم من غلة بغداد ؟ فقال : ما منها شيء أحب إلي من التجارة[3] ، وقال بعض السلف: درهم من تجارة أحب إلي من عشرة من عطائي[4] ، وقال رجل للإمام أحمد: إني في كفاية فقال: الزم السوق تصل به الرحم وتعود به على نفسك [5] ، وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء ، وإنما تجافاه قوم منهم إيثاراً للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقنعوا باليسير[6]، قال سعيد بن المسيب(ت: ٩٤هـ): " لا خير فيمن لا يحب المال يعبد به ربه ويؤدي به أمانته ويصون به نفسه ويستغني به عن الخلق" [7]وكان ابن مهران[8] (ت:١١٦ هـ)يحث

(١) أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث التميمي: حكيم العرب في الجاهلية: وأحد المعمرين، اختلف في إسلامه،وقيل إنه أدرك الإسلام، ومات سنة: ٩ هـ . ابن حجر، الإصابة، ٢٠٩/١ – ٢١١، الزركلي، الأعلام،٦/٢ .

(٢) الوصابي، البركة في فضل السعي والحركة، ص ٢٣ .

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥/١ .

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٠١/٦ .

(٥) ابن مفلح الحنبلي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ٢٦١/٣ ،ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ٢٢٤/١ .

(٦) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ٢٢٥/١ .

(٧) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٧٨/٢٩ .

(٨) ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب الرقي من العلماء العاملين في زمن هشام مات سنة ست عشرة ومائة وولد سنة أربعين. السيوطي، طبقات الحفاظ، ٤٦/١ .

أصحابه على الكسب ويقول لهم : "حصلوا قوتكم ثم أغلقوا عليكم بيوتكم . وقالوا لـه مـرة : إن هنـا أقواماً يقولون نجلس في بيوتنـا حتى يأتينـا رزقنا ، فقـال : هـؤلاء قوم حمـق"[1] ، وقيل لأيوب السختياني[2] (ت:١٣١هـ): " يا أيوب الزم سـوقك فـإن الغنى من العافية" [3] ، وقال سفيان الثوري(ت:١٦١هـ) : " عليك بعمل الأبطال الكسب من الحلال والإنفاق على العيال"[4] ، وكان سفيان الثوري إذا أتاه الرجل يطلب العلم ، سأله : هل لك وجه معيشة ؟ فإن أخبره أنه في كفاية ، أَمَرَه بطلـب العـلم وإن لم يكـن في كفاية ، أَمَرَه بطلب المعاش[5] ، وكان إبراهيم بن أدهـم(ت:١٦٢ هـ)[6] يحمل على رقبته حزمة الحطب اكتساباً للمعيشة " فقيل له: إلى متى هذا يا أبا إسحاق؟ فقال: دعني فإنه بلغني أن من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة"[7] ، وقال أبو سليمان الداراني[8] ، (ت:٢٠٥هـ)"من بات تعباً من كسب الحلال بات والله عنه راضٍ"[9] وعن الحسن بن الربيع[10](ت: ٢٢١ هـ)

(١) المناوي، فيض القدير، ٢٩٠/٢ .

(٢) أيـوب بن أبي تميمة السختياني يكنى أبا بكر مولى لعنزة ، كان يطلب العلم حتى مات وعمره ثلاث وستون سنة، وتوفي سنة ١٣١ هـ، انظر: ابن الجوزي، صفوة الصفوة ، ٣ / ٢٩١ .

(٣) ابن عبد البر، التمهيد، ٣٣٠/١٨ .

(٤) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، ٩٨/١ .

(٥) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، ٩٨/١ .

(٦) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أحد مشاهير العباد والزهاد أصله من بلخ وتوفي في أحد حصون الروم سنة ١٦٢ هـ . ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٥/١٠ . الزركلي، الأعلام، ٣١/١ .

(٧) الوصابي، البركة في فضل السعي والحركة، ص ٢٩ .

(٨) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي أحد العباد والزهاد المشهورين، ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ٢٣٤/٤.

(٩) الوصابي، البركة في فضل السعي والحركة، ص ٢٩ .

(١٠) الحسـن بن الربيع بن سليمان البجلي ثم القشيري أبو علي الكوفي البوراني الحصار ويقال الخشاب نسبة إلى مهنته ، وثقه العجلي، وقال حاتم: إنه من أوثق أصحاب ابن إدريس . السيوطي، طبقات الحفاظ، ٢٠٣/١ .

يقول: قال لي ابن المبارك[1]"ما حرفتك؟ قلت: أنا بوراني[2]، قال: ما بوراني؟ قلت: لي غلمان يصنعون البواري ، قال : لو لم تكن للصناعة ما صحبتني[3] "، وقال عتبة الغلام[4] : " لا يعجبني رجل لا يكون في يده حرفة فقلنا له هو ذا تجالسنا أنت وما نراك تحترف ، فقال : بلى إني لأحترف .

وكان العلماء من السلف يربون تلاميذهم على الاكتساب وعلى التوسط في ذلك، فلا يطغى طلب العلم على طلب الكسب الحلال، وإهمال العيال، ولا يطغى طلب العيش على طلب العلم والقيام بأمر الدعوة، وكان أحد العلماء يقول لتلاميذه: " ينبغي للرجل أن يعرف من أين مطعمه وملبسه ومسكنه وكذا وكذا ثم يطلب العلم"[5]، وقال آخر محذراً تلاميذه من أصحاب الحديث من أن يستغرق طلب العلم جميع أوقاتهم ، فلا يتمكنون من الكسب الذي يغنيهم ومن يعولون فيصيرون عالة على الناس: "إنه من أغرق في الحديث فليعد للفقر جلباباً ، فليأخذ أحدكم من الحديث بقدر الطاقة وليحترف حذراً من الفاقة"[6]. وسأل معاوية ﷺ رجلاً من عبد القيس : ما تعدون المروءة فيكم ؟ قال : الحرفة والعفة[7] وقيل لمعاوية ﷺ : ما المروءة ؟ قال :

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي شيخ خراسان، وأبوه تركي مولى تاجر وأمه خوارزمية ولد بمرو سنة ١١٨ وتوفي بهيت ١٨١ في رمضان . انظر: الذهبي، الكاشف، ٥٩١/١ ، وانظر: الباجي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، ٨٣١/٢ .

(٢) أي: صانع الحصر من القصب . ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٥٩/١ ، مادة: بَوَرَ . وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨٧/٤ ، مادة: بَوَرَ .

(٣) ابن عبد البر، التمهيد، ٣٣٠/١٨، وانظر: الرازي، الجرح والتعديل، ٢٦٨/١ .

(٤) عتبة الغلام وهو عتبة بن أبان بن صمعة البصري، وإنما سمى بالغلام لجده واجتهاده لا لصغر سنة وهو من نساك أهل البصرة، الذين جمعوا بين العلم والعبادة والجهاد، مات في بعض الغزوات مع الروم، و لم تذكر المصادر تاريخ وفاته . ابن الجوزي، صفوة الصفوة ٣ /٣٧٠ ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦٢/٧ .

(٥) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، ٩٨/١ .

(٦) المصدر السابق، ٩٩/١ .

(٧) البيهقي، السنن الكبرى، ١٩٥/١٠ .

العفـــاف في الدين، وإصلاح في المعيشة. [1]، وقال مالك بن دينار:ما شيء أفضل من رجل له غلة يعيش منها [2] ، وهذه الأقوال تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك رؤية السلف الصـــالح للاكتســـاب وما كانوا عليه من اهتمام بالغ ، يتضح ذلك بصورة أكبر من خلال الوقوف على الجوانب التطبيقية في حياتهم .

ثانياً: الجوانب التطبيقية لممارسة الاكتساب في حياة السلف :

وإذا انتقلنا إلى الجوانب التطبيقية في حياة السلف الصالح رأينا ممارستهم للتكسب مـــع القيام بالعلم والدعوة، فقد كان لطاوس[3] (ت:١٠٦ هـــ) أرض يؤاجرها [4]. وهذا الحسن بن الحر[5] (ت:١٣٣ هـــ) يشتغل في دمشق بالتجارة[6]،كان كثير المال سخياً متعبداً [7]، وهذا هشام الدستوائي[8] (ت:١٥٢ هـــ) سمي بالدستوائي لأنه كان يبيع الثياب التي تحمل منها فنسب إليها [9] ، وهذا عبد الله بن المبارك(ت:١٨١هـــ) أحـــد الأعلام كان مشهوراً بالترحال لطلب العلم والغزو والتجارة حتى وفاته، وكان

(١) البيهقي، السنن الكبرى، ١٩٥/١٠ ، وانظر: الأصبهاني، حلية الأولياء، ١٧١/٨.

(٢) القزويني، كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ٧٧٨/٣ .

(٣) طـــاوس ابن كيسان الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي الحافظ كان من أبناء الفـــرس الذيـــن جهزهم كسرى لأخذ اليمن ، قال عنه ابن معين وأبوزرعة: طاوس ثقة . الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥ /٤٧،٤٨ .

(٤) يعقوب بن إبراهيم الأنصاري أبو يوسف، كتاب الآثار، ١٨٨/٢ .

(٥) الحســـن بن الحر أبو الحكم النخعي كوفي .قال يحيى بن معين: ثقة ، وقال الحاكم : ثقة مأمون مشهور. أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ٨/٣ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ١٥٣/٦ ، ابن حبان، الثقات ، ١٦١/٦ ، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٢٩/٢ .

(٦) أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ٨/٣ .

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥٣/٦ .

(٨) هو الحافظ هشام بن أبي عبد الله سنبر الربعي . السيوطي، طبقات الحفاظ، ٩٠ ، ٩١ .

(٩) صحيح بن حبان، ١٦٤/٩ .

يتجر في البز[1]، وقد كان عبد الله بن المبارك يرسم طريقاً لطلاب العلم والدعاة الذين يجمعون بين الاكتساب والدعوة بأن يعرفوا قدر المال وحقوقه وآداب الاكتساب وأن المال وسيلة لتحقيق المقاصد الشرعية من الإنفاق في وجوه الخير وإعطاء المحتاجين ومن التضحية به في سبيل الله ليتحقق المؤمن بصفة الجهاد بالنفس والمال يبين ذلك الحوار الذي تم بينه وبين الفضيل بن عياض الذي استغرب على ابن المبارك أمره أصحابه بالزهد واشتغاله بطلب الرزق قال له : تأمرنا بالزهد والتقلل من الدنيا ونراك تأتي بالبضائع فكيف يجتمع هذا ؟ فقال ابن المبارك : يا أبا علي إنما أفعل هذا لأصون به وجهي وأكرم به عرضي وأستعين به على طاعة ربي لا أرى لله حقا إلا سارعت إليه حتى أقوم به فقال له الفضيل : ما أحسن ذا إن تم ذا[2]، وكانت تلك التجارة سبباً في كثرة إنفاقه على مصالح الدعوة فكان ينفق على الإخوان ويجهزهم للحج[3]، وعوتب ابن المبارك في كثرة الإنفاق على أهل العلم والدعوة فأجابهم: " إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه، لحاجة الناس إليهم، احتاجوا، فإن تركناهم، ضاع علمهم، وإن أغناهم، بثوا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لا

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٦/٢٣٥ .

(٢) انظر: تاريخ بغداد، ١٠/١٦٠ .

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨/٣٧٩ . ومن القصص التي تدل على ذلك الإنفاق ما حكاه الخطيب البغدادي قال" كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس وكان ينزل الرقة في خان فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ، ويسمع منه الحديث، قال: فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلاً فخرج في النفير فلما قفل من غزوته ورجع الرقه سأل عن الشاب قال: فقالوا: إنه محبوس لدين ركبه ، فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يستقصي حتى دُلَّ على صاحب المال فدعا به ليلا ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لا يخبر أحداً ما دام عبد الله حيا وقال: إذا أصبحت فاخرج الرحل من الحبس وأدلج عبد الله فأخرج الفتى من الحبس وقيل له: عبد الله بن المبارك كان ههنا وكان يذكرك، وقد خرج فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة فقال: يا فتى أين كنت لم أرك في الخان ؟ قال: نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسا بدين، قال: فكيف كان سبب خلاصك ؟ قال: جاء رجل فقضى ديني ، و لم أعلم له حتى أخرجت من الحبس ، فقال له عبد الله: يا فتى احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك ، فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد موت عبد الله " . انظر: تاريخ بغداد، ١٠/١٥٩.

أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم"[1]، وكان يبالغ في الإنفاق على الإخوان حتى كاد يحصر غرضه من التجارة في هذا المقصد الشريف يقول رحمه الله :"لولا خمسة ما اتجرت فقيل له: يا أبا محمد من الخمسة ؟ فقال : سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة ، والفضيل بن عياض ، ومحمد بن السماك ، وابن علية. وكان يخرج فيتجر إلى خراسان فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج والباقي يصل به إخوانه الخمسة"[2] فانظر كيف طوَّع المال لخدمة الدعوة من خلال تفقد أهلها والعناية بشؤونهم وفي ذلك دليل على تجرد هذا العالم الذي أحب المال لله وطلبه لله وبذله لله فكان همه فضل الله، وهذا داود بن مهران[3] (ت:٢١٧هـ)كان يشتغل في مهنة الدباغة ويبيع الأدم[4]،وهذا يوسف بن عدي[5] (ت:٢٣٢هـ)ذهب إلى مصر في التجارة ومات بها[6]،وهذا الإسكافي[7] (ت:٢٤٠ هـ)"كان في صباه خياطا"[8]،

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٨٧/٨ ، تاريخ بغداد، ١٦٠/١٠ .

(٢) تاريخ بغداد، ٢٣٥/٦ .

(٣) داود بن مهران الدباغ أبو سليمان بياع الأدم سكن بغداد وقال عنه أبو حاتم الرازي: ثقة صدوق وقال ابن حبان كان متقنا مات سنة سبع عشرة ومئتين . انظر: الحسيني، الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال، ص ١٢٨ . وانظر: ابن حجر العسقلاني، تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة، ١١٩/١ .

(٤) عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ٤٢٦/٣ .

(٥) يوسف بن عدي بن زريق بن إسماعيل ويقال بن الصلت بن بسطام التيمي مولاهم أبو يعقوب الكوفي سكن مصر وحدث بها ثقة مات في ربيع الآخر سنة ٢٣٢ هـ . انظر: الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ٤٠٠/٢ ، وانظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٦٧/١١ .

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٢٧/٩ .

(٧) وهو العلامة أبو جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي ثم الإسكافي المتكلم وكان أعجوبة في الذكاء وسعة المعرفة مع الدين والتصون والنزاهة . الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ٥٥٠/١٠ .

(٨) الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ٥٥٠/١٠ ، ٥٥١ .

وهـــذا المحدث محمد بن عبد الله بن عمار[1] (ت:٢٤٢ هـــ) قال عنه الإمام الذهبي:" كان يعالج التجارة فقدم بغداد مرات وحدث بها"[2]، بل هذا إمام المفسرين محمد بن جريـــر الطـــبري[3] (ت: ٣١٠ هـــ) دخل بغداد وكانت معه بضاعة يتقوت منها، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم ما يلحقه من الأذى[4]، وقال الذهبي في ترجمـــته للإمام أبي حنيفة : " وكان إماماً ورعاً عالماً عاملاً متعبداً كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر ويتكسب"[5]، وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار كان يتجر فـــيها بالزيـــت وغيره [6] وقد خلف سفيان الثوري رضي الله عنه مائتي دينار، وكان يقـــول : المال في هذا الزمان سلاح، وكان محمد بن سيرين يمارس التجارة بورع مع جدٍّه في طلب العلم وتعليمه والدعوة إليه، ومما ذكر من ورعه في بيعه وشرائه أنه إذا ارتـــاب في شـــيء تـــركه[7]،وهذا محدث سمرقند محمد بن محمد البغدادي المشهور بالجمـــال[8] (ت:٣٤٦ هـــ) ولقب بهذا اللقب لأنه كان صاحب جمال وكان يسافر في طلـــب التجارة، ويجمع بينها وبين التحديث، حيث حدث في أماكن متعددة أثناء

(١) هـــو الإمـــام الحافظ الحجة محدث الموصل أبو جعفر الموصلي ولد بعد سنة ١٦٠ هـــ قال عنه النسائي: ثقة، وقـــال الخطيب البغدادي: كان أحد أهل الفضل المتحققين بالعلم حسن الحفظ كثير الحديث، توفي سنة ٢٤٢ هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤٦/١١ ، ٤٧٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء، ٤٦٩/١١ .

(٣) أبـــو جعفـــر محمـــد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم المجتهد كان عالم عصر ه ولد سنة أربع وعشرين ومئتين وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين وأكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال وكان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف قل أن ترى العيون مثله ، وتوفي ببغداد سنة ٣١٠ هـــ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤ / ٢٦٧ ، ٢٨٢ .

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٧١/١٤ ، ٢٧٤ .

(٥) تذكرة الحفاظ، ١/ ١٦٨ .

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٥٤/١ .

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٣٦/٥ .

(٨) أبـــو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن جميل البغدادي استوطن سمرقند ، قال الحاكم : هو محدث عصـــره بخراســـان وأكثر مشايخنا رحلة وأثبتهم أصولا، وتوفي في سمرقند في ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلاث مئة . الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ٥٤٧/١٥ .

سـفره[1]، وهذا دعلج[2](ت: ٣٥١ هـ) يصفه الذهبي بالمحدث التاجر ذي الأموال العظـيمة، سمع كثيراً من الحديث بعد بلوغه الثمانين أثناء تجواله في التجارة[3]، وهذا محمـد بن عبدويه[4] (ت:٣٥٤هـ) كان متقناً للحديث" وكان يتردد إلى البلاد في التجارة"[5]، وهكذا تبين لنا اهتمام السلف الصالح بالاكتساب مع قيامهم بالدعوة .

المبحث السادس: الاكتساب من وسائل الدعوة إلى الله تعالى :

المال قوام حياة البشر، وعصبها الحساس ، حتى قيل : إن سبب قيام كثير من قيام الثورات والحروب السياسية والدينية المؤثرة في حياة البشرية كان سببها المال، أو أحد الأسباب المؤثرة فيها أشد التأثير[6] .

والمال من أعظم الوسائل في تبليغ الدعوة ، إذ به تقام المشاريع الدعوية وبه تجهز الجيوش، وبه تقام الدول وتنشأ المصانع والحضارات، وبه تؤلف القلوب، ولا ريب أن المـال يخدم الدعوة ويعين على تحقيق أهدافها ، قال الإمام الشيباني:" الكسْب الحلال فيه معنى المعاونة على القرب والطاعات " [7] ومن أعظم القرب الدعوة إلى الله ، وذو المال إذا كان صاحب عقيدة يستطيع أن ينشر دعوته ويتوغل بها في آفاق الأرض وقد

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥/٥٤٧ .

(٢) دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن المحدث الحجة الفقيه الإمام أبو محمد السجستاني ثم البغدادي ولد سنة تسع وخمسين ومئتين . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/٣٠ .

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/٣٠ .

(٤) محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه الإمام المحدث المتقن ولد سنة ٢٦٠ هـ قال عنه الخطيب البغدادي: كان ثقة ثبتا كثير الحديث حسن التصنيف ، وقال الدارقطني: ثقة جبل ما كان في ذلك الوقت أحد أوثق منه. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/٣٩ – ٤٢.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/٤٠ .

(٦) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١١٢٨ .

(٧) انظر: الشيباني، كتاب الكسب، ص ١٣٦ .

استطاع الأعداء النفوذ بأفكارهم الباطلة إلى أماكن أصحاب العوز والحاجات وأن يقدموا لهم من الخدمات ما يكون سبباً في إضلالهم ولقد كان لأهل التنصير وزر كبير في استغلال المال للدعوة إلى دين النصارى وحققوا كثيراً من أهدافهم في وقت ضعف فيه أهل الحق وشغلوا عن تبليغ الرسالة التي كان السلف الصالح يبذلون الغالي والنفيس لخدمتها، كل ذلك يؤكد أهمية المال وكونه من أعظم الوسائل للدعوة إلى الله والكسب الحلال هو الطريق الطبيعي لتحصيل المال، ولاستجلاء تلك المعاني وتوضيحها فسنتناول هذا الموضوع من خلال النقاط الآتية :

١ - إنفاق الصحابة رضي الله عنهم على مصالح الدعوة ثمرة من ثمار الاكتساب.

٢ - الإنفاق طريق للاستغناء عن الآخرين .

٣ - الإنفاق وسيلة للجهاد في سبيل الله تعالى .

٤ - الإنفاق في سبيل الدعوة .

أولاً: إنفاق الصحابة رضي الله عنهم على مصالح الدعوة ثمرة من ثمار الاكتساب:

كان لدى الصحابة رضي الله عنهم اهتمام بأمر معيشتهم فلم يتركوا ما تعودوا عليه من كسب أو تجارة حتى بعد أن انشغلوا بالمصالح العامة للمسلمين فقد كان أبو بكر الصديق ﷺ رجلاً تاجراً يعيش من كسبه فكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع ، ولما ولي الخلافة أخذ أثواباً يتجر بها كعادته فرآه عمر وأبو عبيدة رضي الله عنهما فسألاه فأخبرهما أنه لن يدع عياله ففرضوا له من بيت المال ما يكفيه وعياله[1]، وقالت أم المؤمنين عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:" لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ قَالَ: لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَؤونَةِ أَهْلِي وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٨٤/٣ ، ١٨٦، قال الحافظ ابن حجر: رواه ابن سعد بإسناد مرسل رجاله ثقات ، ٣٠٥/٤ ، وانظر: الزيلعي، نصب الراية لأحاديث الهداية، ١٨٧/٤ ، وانظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٣٨/٨، وانظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ٤٨٠/٧ .

فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَيَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ"[1]، ولقد كانت التجارة التي اشتغل به الصديق ﷺ من أنجح الوسائل في الدعوة إلى الله فمن خلالها كسب ثقة كثير من الرجال العقلاء واستثمر تلك العلاقات لصالح الدعوة وحقق بها ثماراً جليلة ومن تلك الثمار:

أولاً: تكوين علاقات اجتماعية واسعة انعكست على نشاطه الدعوي بعد إسلامه، فقد نشط في الدعوة، واتصل بمعارفه، وكسب بذلك رهطاً كريماً من المهاجرين ومن العشرة المبشرين بالجنة ليكونوا من جنود الدعوة الأوفياء[2].

ثانياً : من ثمار ممارسته للتجارة ارتفاع مكانته الاجتماعية فلم يكن بالرجل المجهول، بل كان معروفاً لعلمه وتجارته .

ثالثاً: كما أن من ثمرات الغنى واليسار إنفاقه في سبيل الله إنفاقاً تواترت الأخبار بصحته وكثرته وسعته[3]، مما جعل الفاروق ﷺ يدرك ويقرر أنه مهما أنفق في سبيل الله فلن يسبق الصديق ﷺ يقول عمر ﷺ: " أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلكَ مَالًا عنْدي فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْبقُ أَبَا بَكْرٍ إنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً فَجئْتُ بنصْف مَالي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ : مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلكَ ، قُلْتُ: مثْلَهُ قَالَ : وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ بكُلِّ مَا عنْدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ : مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلكَ ، قَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قُلْتُ : لَا

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم ٢٠٧٠ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية، ٢٦٦/١ – ٢٦٩ ، وانظر: ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ٣٠/٣ ، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام ١٣٨ .

(٣) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ٥٤٦/٨ .

أُسَـــابِقُكَ إِلَـــى شَـــيْءٍ أَبَدًا"[1]. وكذلك الخليفة عثمان رضي الله عنه سيرته مليئة بالأحداث وفضائله مشهورة بين الناس، وأن من صفاته الإنفاق على الدعوة التي آمن بها حتى لكأنه الممول الوحيد للأمة الناشئة الجديدة ، يتضح ذلك من سياق البخاري: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ ، وَقَالَ: مَـــنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ" [2] قال ابن كثير: وقد حصل لأمير المؤمـــنين عثمان بن عفان رضي الله عنه حظ وافر ونصيب عظيم وذلك أنه أنفق في غـــزوة تـــبوك النفقات الجليلة والأموال الجزيلة [3]، وهذا الإنفاق كان متنوعاً بتنوع حاجـــة المجـــتمع المسلم الوليد ، عَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : خَرَجْنَا حُجَّاجاً فَقَدِمْنَا الْمَدِيـــنَةَ وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحَجَّ فَبَيْنَا نَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا نَضَعُ رِحَالَنَا إِذْ أَتَانَا آتٍ فَقَالَ : إِنَّ الـــنَّاسَ قَـــدْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَفَزِعُوا فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى نَفَرٍ فِي وَسَـــطِ الْمَسْجِدِ وَإِذَا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَإِنَّا لَكَذَلِكَ إِذْ جَاءَ عُـــثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ عَلَيْهِ مُلَاءَةٌ صَفْرَاءُ قَدْ قَنَّعَ بِهَا رَأْسَهُ فَقَالَ أَهَاهُنَا عَلِيٌّ أَهَاهُنَا طَلْحَةُ أَهَاهُـــنَا الزُّبَيْرُ أَهَاهُنَا سَعْدٌ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ يَبْتَاعُ مِرْبَدَ بَنِي فُلَانٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ فَابْتَعْـــتُهُ بِعِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : اجْعَلْهَا فِي مَسْجِدِنَا وَأَجْرُهُ لَكَ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ : فَأَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّـــذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ يَبْتَاعُ بِئْرَ

(١) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب الرخصة في أن يخرج الرجل من ماله، رقم ١٦٧٨ ، سنن الترمذي، كتاب المناقـــب، بـــاب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما، رقم ٣٦٧٥ ، وقال الترمذي: هذا حسن صحيح، سنن الدارمي، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده، رقم ١٦٦٠ . وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ٣١٥/١ رقم ١٤٧٢ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان رضي الله عنه .

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٠١/٢ .

رُومَـــةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ فَابْتَعْتُهُ بِكَذَا وَكَذَا فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : قَـــدْ ابْتَعْتُهَا بِكَذَا وَكَذَا قَالَ : اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُهَا لَكَ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ : فَأَنْشُدُكُمْ بِاللَّه الَّذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ نَظَرَ فِي وُجُوه الْقَوْمِ فَقَالَ : مَنْ جَهَّزَ هَؤُلَاءِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ يَعْني جَيْشَ الْعُسْرَة فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى مَا يَفْقِدُونَ عِقَالًا وَلَا خِطَامًا قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ [1]

ومع أنه ذو مال كثير إلا أنه بحق مثال للداعية الذي لم يستعبده المال فقد كان زاهداً في الدنـــيا حـــتى قـــيل عنه: كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت[2] بل كان رضي الله عنه يخطب يوم الجمعة وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم أو خمســـة دراهـــم وهو يومئذ خليفة [3]، إن العقيدة حين ترسخ في القلوب وتكون هماً واحداً للمسلم يسخر كل ما يملك في سبيلها فيكون كريماً إذ يعجز غيره العد جواداً حين يضن الناس بالدرهم والدينار وتمتد الحياة بالجواد عثمان رضي الله عنه و لم تختف تلك الصفة من حياته فقد أصاب الناسَ في زمن الخليفة أبي بكر قحط شديد فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لهم : إن شاء الله لا تمسون غدا حتى يأتيكم فرج الله، ولما كـــان صـــباح الغد قدمت قافلة لعثمان محملة بالخيرات فغدا عليه التجار وسألوه أن يبيعهم قافلته ... فسألهم عثمان : كم تربحونني ؟. قالوا : العشرة ، اثني عشرة . قال عثمان : قد زادني أي: هناك من يربحني أكثر منكم قال التجار : فالعشرة خمسة عشرة قال : قد زادني فقال التجار : من الذي زادك ونحن تجار المدينة قال : إنه الله ... زادني بكل درهم عشراً ، فهل لديكم أنتم مزيد ؟ فانصرف التجار عنه وهو ينادي : اللهم

(١) سنن النسائي، كتاب الأحباس، باب وقف المساجد، رقم ٣٦٠٧ . وصححه الألباني، صحيح سنن النسائي، ٧٦٤/٢ .

(٢) الأصبهاني، حلية الأولياء، ٦٠/١ ، ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ٣٠٣/١ .

(٣) البيهقي، شعب الإيمان، ١٥٩/٥ ، الأصبهاني، حلية الأولياء، ٦٠/١ ، ابن المبارك، الزهد، ٢٦٠/١ .

إني وهبـــتها فقراء المدينة بلا ثمن ولا حساب[1].وبهذا تبين لنا أن المال يكون في خدمة الدعوة .

ثانياً: الإنفاق طريق للاستغناء عن الآخرين:

ثمـــة علاقة بين عفة الداعية عما في أيدي الآخرين وتأثيره بدعوته فالذي يتطلع لأمـــوال الآخـــرين يسقط من أعينهم ولا يوقرون كل كلمة وكل توجيه منه بخلاف عزيـــز الـــنفس يحبه الناس ويقبلون عليه حين يزهد فيما عندهم وهو ما أشار به النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّـــنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ" [2]

والتكسب من جانب آخر وسيلة لاستغناء الداعية عن الناس وسبيل لتحقيق العزة والحـــرية المعينتين له على تبليغ دعوته" عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاء جبريل إلى الـــنبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شـــئت فإنك مجزي به وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعلم أن شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عن الناس "[3] .

وقال الشاعر: العبد حـــر ما قنـــع والحر عبد ما طمع[4]

ويقال: الطمع غل فى العنق ، قيد في الرجل فإذا زال الغل من العنق زال القيد من الرجل ، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: الطمع فقر واليأس غنى ،

(١) انظر: الأندلسي، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ٢٣٩/١ .

(٢) ســـنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، رقم ٤١٠٢، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ٣٩٢/٢ ، رقم٣٣١٠ .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢١٩/١٠ ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان، ١٧١/٣، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ، حديث رقم: ٧٣ . ٧٦/١ .

(٤) الإبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ١٥٥/١ .

وإن أحدكم إذا يئس من شيء استغنى عنه[1]، بل إن سفيان الثوري رحمه الله يؤكد هذا المعنى فيقول : "من كان في يده من هذه - الدنانير-شيء فليصلحه فإنه زمان إن احتاج كان أول ما يبذله دينه" [2]، وقال: " لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس" [3]

كما أن التكسب طريق لتوقي منن الناس إذ إن أشق شيء على النفوس الشريفة سؤال الناس وانتظار مننهم ، قال علي بن أبي طالب ﷺ :

لنقل الصخر من قلَلِ الجبال أحب إلي من منن الرجال
يقول الناس لي في الكسب عار فقلت العار في ذل السؤال
وذقت مرارة الأشياء طراً فما طعم أمرَّ من السؤال[4]

وقال الشافعي :

منن الرجال على القلوب أشد من وقع الأسنة[5]

وقال الشاعر:

إذا المرء لم يطلب معاشا يكفه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأدنين كلا وأوشكت صلات ذوي القربى له أن تنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا[6]

(١) ابن تيمية، العبودية، ٨٩ .
(٢) المزي، تهذيب الكمال، ١٦٨/١١ .
(٣) المزي، تهذيب الكمال، ١٦٨/١١ .
(٤) ديوان علي ﷺ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .
(٥) الذهبي ، الكبائر، ١٥٢ .
(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٣٢٦/١٧ .

وفي هذه الأبيات من معاني الحكمة الحث على طلب الرزق والإخبار عن عيوب الفقـــر وفضـــل الغـــنى إذ فيه صيانة للعرض وقضاء للحق وصلة للرحم وعون على المروءة[1].

ثالثاً: الإنفاق وسيلة للجهاد في سبيل الله تعالى:

ومـــا يـــبين قيمة المال – الذي هو من ثمار الاكتساب – أن الجهاد بالمال شقيق الجهاد بالنفس ويؤيد هذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَـــدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا" [2]، وهو وسيلة من وسائل تمكـــين الدعوة فإنفاقه في سبيل الله وقاية من التهلكة، وهذا يتناول الإنفاق للاستعداد للقـــتال دفاعاً عن الدعوة، ويتناول منع العدوان العام والخاص [3] فالجهاد بالمال جاء الأمر به في كثير من آيات القرآن الكريم وذلك لجليل منفعته، وعظيم أثره، قال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [4]، وقـــال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [5]، وإنما يجل المال بقدر ما يقضى به من الحوائج والمنافع، وإلاَ فلـــيس الفائدة في عينه، فإذا لم تقض به المنافع كان وجوده كعدمه[6] "عن علي رضي الله عنه قال: هذا المال لا يصلحه إلا ثلاث أخذه من حله ووضعه في حقه ومنعه من السرف" [7] .ومما يجدر ذكره أن الجهاد بالنفس لا يقوم إلا باعتماده على المال، فلا سلاح إلا بالمال، ولا تجهيز للمقاتلين إلا بالمال.

(١) الرامهرمزي، أمثال الحديث، ١٩٣/١ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من جهز غازياً أو خلفه بخير، رقم ٢٨٤٣ .

(٣) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١١٠/١ .

(٤) التوبة ، الآية : ٤١ .

(٥) الحجرات ، الآية : ١٥ .

(٦) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٣٣٧/٦ .

(٧) الدمشقي، شذرات الذهب، ٣٧/١ .

رابعاً: الإنفاق على الدعاة:

التعلق بالدعوة يجعل الداعية يسترخص المال مهما كثر في سبيل الدعوة ومن ذلك الإنفـــاق على المدعوين الذين في تأهلهم بالعلم الشرعي خير للأمة فقد كان جمع من الســـلف والخلف ينفقـــون على طلابهم ويتألفونهم على العلم فعن أبي يوسف(ت : ١٨٢هـــ) [١] رحمه الله قال : كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث المنزل فجاء أبي يومـــا وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال : يا بني أنت محتاج إلى المعاش وأبو حنـــيفة وســـأل عني فلما أتيته بعد تأخيري عنه قال : ما خلفك قلت الشغل بالمعاش وطاعـــة والدي فلما أردت الانصراف أومأ إلي فجلست فلما قام الناس دفع إلي صرة وقال : استعن بهذه والزم الحلقة وإذا فقدت هذه فاعلمني فإذا فيها مائة درهم فلزمت مجلسه حتى بلغت حاجتي وفتح الله لي ببركته وحسن نيته فانتج من العلم المال فأحسن الله مكافأتـــه وغفر له [٢]، وهذه القصة تؤكد لنا أهمية الغنى وأهمية الإنفاق في سبيل الدعوة فطالب العلم بحاجة إلى تأليف، والمنقطع للدعوة بحاجة إلى رعاية، كما تؤكد تلـــك القصـــة أن الفقر ربما صرف الداعية عن دعوته تحت ضغط الحاجة، وقد ذكر القرآن الكريم خطة المنافقين في حرب المسلمين ليتركوا الدعوة وينصرفوا عنها وتلك الخطة تتمثل في التضييق عليهم في أرزاقهم ومعيشتهم قال تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [٣]، ومـــن أمـــثلة الإنفـــاق الأخـــرى العـــالم نصـــر بـــن

(١) القاضـــي أبو يوسف هو الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ابن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي ولد سنة ١١٣ هـــ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨/ ٥٣٥ .

(٢) الدمشقي، شذرات الذهب، ١/٣٠٠ .

(٣) المنافقون، الآية : ٧ .

منصور الحراني[1] (ت:٥٥٣ هـ) عرف بابن العطار كان تاجرا كبيراً كثير المال قارئاً للقرآن يكسو العراة ويفك الأسرى[2]، وقال جرير بن عبد الله البجلي[3] (ت : ٥١ هـ) : المال ودائع الله في الدنيا ونحن وكلاؤها فمن جائع نشبعه ومن ظمآن نرويه[4]، وهكذا رأينا في هذا المبحث كيف كان المال وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله والحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) نصر بن منصور بن الحسين بن أحمد بن عبد الخالق العطار الحراني كان كثير المال منفقاً عابداً توفي سنة ٥٥٣ هـ وعمره ثمانون سنة . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٨/١٢ .

(٢) الدمشقي، شذرات الذهب، ١٦٨/٢ ، وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٣٦/٨ .

(٣) هو الصحابي جرير بن عبد الله البجلي أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً وكان له في حروب العراق أثر عظيم أمره الفاروق رضي الله عنه على قومه فجمعهم، وتوفي سنة ٥١ هـ. ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٣٤/١ .

(٤) انظر: المزي، تهذيب الكمال، ٥٤٠/٤ .

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات :

وبعـــد نهاية هذا البحث يحسن ذكر النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث فأقول:

أولاً: ظهر لي من خلال البحث أن ممارسة الاكتساب بضوابطه الشرعية أمر مشروع تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على مشروعيته .

ثانياً: توصـــلت من خلال البحث أن الاكتساب دأب الأنبياء السابقين وأتباعهم من الصالحين.

ثالثاً: ثبت من خلال البحث اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الاكتساب وتعليم الصحابة رضي الله عنهم هذا الأمر بأساليب شتى .

رابعاً: ثبت أيضاً من خلال البحث أن جمعاً غفيراً من الصحابة جمعوا بين الاكتساب والدعـــوة، وأن الـــنبي صلى الله عليه وسلم أقرهم على ذلك كما أن السلف الصـــالح ساروا على نهجهم، وهذا يفتح آفاقاً واسعة للداعية في ممارسة التجارة شريطة أن تكون في يده لا في قلبه بمعنى أن يسخرها لخدمة الدعوة.

خامســاً: كما ثبت من خـــلال استقـــراء سير السلف الصالح أن أغلبهـــم اشتغل بالاكتساب مع الدعوة لمقاصد سامية و لم يؤثر ذلك على أدائهم الدعوي .

سادساً: أن على الداعية الاهتمام بأمر معيشته حتى يعف نفسه عن الناس.

سابعاً: أن أصحاب الأموال من الدعاة يستطيعون خدمة الدعوة بمالهم كما كان كثير مـــن الســـلف يفعلون ذلك والجهاد بالمال مقرون بالجهاد بالنفس وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

التوصيات :

في تصوري أن التوصيات تقوم على محورين هما:

المحور العلمي:

يوصي الباحث أن يكون هناك دراسات وبحوث مكثفة حول الموضوع وأن تعقد مؤتمـــرات وندوات تهدف إلى توسيع جوانب الموضوع تأصيلاً وتطبيقاً ولا بأس من الاستفادة من التجارب.

المحور العملي:

يوصـــي الباحث أن يكون لدى الدعاة عناية بأمر معيشتهم وأن يتوجه القادرون منهم لممارسة الاكتساب، وأن يكون هناك مؤسسات استثمارية ذات مردود اقتصادي على الدعوة .

ثبت المصادر و المراجع :

١- **القرآن الكريم** .

٢- **الإبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد**، (ت: ٨٥٠ هـ)، المستطرف من كل في مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، ط: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦ م.

٣- **ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد**،(٢٣٥ هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ط: الأولى، مكتبة الرشد، الرياض ، ١٤٠٩ هـ.

٤- **ابن أبي عاصم الشيباني: أحمد بن عمرو**، (٢٨٧ هـ)، الزهد ، تحقيق: عبد العلي حامد ، ط: الثانية، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨ هـ.

٥- **الأزدي: معمر بن راشد**، (١٥١ هـ)، الجامع، ط : الثانية ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ١٤٠٣هـ.

٦- **الأصفهاني: أبو الفرج**، (ت: ٣٥٦ هـ)، الأغاني،ط: الثانية، دار الفكر، بيروت، تحقيق: سمير جابر.

٧- **الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد**، (ت: ٥٢٠ هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، ط:دار المعرفة، بيروت.

٨- **الألباني: محمد ناصر الدين**،(ت: ١٤٢١ هـ)، صحيح الأدب المفرد، ط:الثانية، دار الصديق، الجبيل، ١٤١٥ هـ.

٩- **الألباني صحيح سنن الترمذي**، ط: الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨ هـ .

١٠- **الألباني: صحيح سنن أبي داود**، ط: الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩ هـ .

١١- **الألباني: السلسلة الصحيحة**، ط:الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت،١٤٠٣ هـ.

١٢- **الأندلسي: علي بن حزم**، (٤٥٦ هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ط: الأولى، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٤ هـ.

١٣- **المالقي الأندلسي: محمد بن يحي بن أبي بكر**، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ط: الأولى، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ١٤٠٥ هـ .

١٤- **الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد** ، (٤٧٤ هـ)، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق : أبو لبابة حسين ، ط : الأولى، دار اللواء ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ.

١٥- **البخاري الجعفي: محمد بن إسماعيل** ،(٢٥٦ هـ)، التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي ، ط: دار الفكر .

١٦- **البخاري: محمد بن إسماعيل** ، التاريخ الصغير ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد ، ط: الأولى، دار الوعي، مكتبة التراث، حلب، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ.

١٧- **البخاري** ، صحيح البخاري مع الفتح ، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٧٩ هـ.

١٨- **البخاري: محمد بن إسماعيل**، الأدب المفرد، ط: الثانية، دار الصديق للنشر والتوزيع.

١٩- **البصري الزهري: محمد بن سعد بن منيع**،(٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى،ط:دار صادر،بيروت، ١٣٨٠ هـ.

٢٠- **البعلي الحنبلي: محمد بن أبي الفتح**، (ت:٧٠٩ هـ)، المطلع على أبواب المقنع ، تحقيق: محمد بشير الأدلبي ، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١ هـ.

٢١- **البغدادي: عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا**،(ت:٢٨١ هـ)، كتاب العقل وفضله،ط:الأولى، دار الراية، الرياض، ١٤٠٩ هـ .

٢٢- **البغدادي: محمد بن عبد الغني** ،(٦٢٩ هـ) تكملة الإكمال ، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي ، ط: الأولى ، جامعة أم القرى، مكة، ١٤١٠ هـ.

٢٣- **البلادي: عاتق بن غيث** ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ط : الأولى، دار مكة ، ١٤٠٢هـ.

٢٤- **البيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر**، (٤٥٨ هـ)، سنن البيهقي الكبرى، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٢٥- **البيهقي، شعب الإيمان**، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ .

٢٦- **الترمذي: محمد بن عيسى**، (٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧- **ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم**، (٧٢٨ هـ)،العبودية، ط: الرابعة، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٨- **ابـــن تيمـــية:** منهاج السنة النبوية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط : الأولى ، مؤسسة قرطبة ، ١٤٠٦ هـــ.

٢٩- **ابـــن تيمية:** مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية الشريفين، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين .

٣٠- **الجـــرجاني: علي بن محمد بن علي،** التعريفات ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، ط : الأولى، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـــ.

٣١- **الجزري: محمد بن الأثير،** (ت: ٦٠٦هـــ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـــ .

٣٢- **الجـــزري: علي بن محمد**(ت:٦٣٠)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط: دار الفكر، بيروت، ١٣٩٠ هـــ .

٣٣- **الجصـــاص: أبـــو بكر أحمد بن علي الرازي،** أحكام القرآن، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦ هـــ .

٣٤- **ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي،**(٥٧٩ هـــ)، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، تحقيق: خالد الميس ، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيرروت، ١٤٠٣ هـــ.

٣٥- **ابن الجوزي:** تلبيس إبليس، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـــ .

٣٦- **ابن الجوزي:** صفوة الصفوة ، تحقيق: محمود فاخوري، محمد رواس قلعة جي ، ط: الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩ هـــ .

٣٧- **ابـــن الجـــوزي:** غريب الحديث ، تحقيق: د عبد المعطي أمين قلعجي ، ط : الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م .

٣٨- **ابـــن حبان البستي:** أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد، (ت: ٣٥٤ هـــ)،الثقات ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥ هـــ.

٣٩- **ابـــن حـــبان البستي:** مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق: فلايشهمر ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩ م .

٤٠- **ابن حبان البستي:** صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط : الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـــ .

٤١- **الحسيني: محمد بن علي بن الحسن أبو المحاسن**،(ت: ٧٦٥ هـ)، الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال، ط: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، ١٤٠٩ هـ

٤٢- **الحميري: عبد الملك بن هشام**،(٢١٣ هـ)، السيرة النبوية، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٣- **الخطيب البغدادي**: الجامع لأخلاق الراوي ، تحقيق: محمود الطحان ، ط : مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ.

٤٤- **الخطيب البغدادي: أحمد بن علي**، (٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥- **الخليلي القزويني: الخليل عبد الله بن أحمد**،(٤٤٦ هـ)، كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس ، ط: الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩ هـ.

٤٦- **الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن**،(ت: ٢٥٥ هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السَّبع العَلمي ، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٤٧- **أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني**، (٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الفكر .

٤٨- **الدمشقي: عبد الحي بن أحمد العكري**، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط:دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٩- **الذهبي**: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، تحقيق: محمد عوامة ، ط: الأولى، دار القبلة الإسلامية، مؤسسة علو، جدة، ١٤١٣ هـ.

٥٠- **الذهبي**: الكبائر، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

٥١- **الذهبي**: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، ط: دار الكتاب العربي، بيروت .

٥٢- **الذهبي**: سير أعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ونعيم العرقسوسي ، ط: التاسعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤١٣ هـ.

٥٣- **الذهبي**: محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز، (ت:٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤ هـ.

٥٤- **الرازي**: أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد،(ت: ٢٦٤ هـ)، الضعفاء وأجوبة الرازي على سؤالات البرذعي، ط: الثانية، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٩ هـ .

٥٥- **الـــرازي: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس**،(ت:٣٢٧ هـــ)، الجرح والتعديل، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٢٧١ هـــ.
٥٦- **الرامهرمزي: أبو الحسن بن عبد الرحمن**،(ت: ٥٧٦هـــ)، أمثال الحديث ، تحقيق: أحمد عبد الفتاح تمام ، ط: الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٩ هـــ.
٥٧- **ابـــن رجـــب: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد**،(ت:٧٥٠ هـــ)، جامع العلوم والحكم، ط: الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨ هـــ.
٥٨- **رضا: محمد رشيد**، تفسير المنار، ط: الثانية، دار الفكر ، بيروت، بدون تاريخ .
٥٩- **زرزور: نعيم**، ديوان الإمام علي ﷺ ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ هـــ.
٦٠- **الزركلي: خير الدين**، الأعلام، ط: السادسة، دار العلم للملايين، ١٩٨٤ م .
٦١- **الزمخشري: محمود بن عمر**،(ت: ٥٨٣هـــ)، الفائق في غريب الحديث.
٦٢- **الزيلعي: عبد الله بن يوسف**،(ت: ٧٦٢هـــ) نصب الراية لأحاديث الهداية، ط: دار الحديث، مصر، ١٣٥٧ هـــ.
٦٣- **الســـيوطي**: ، طـــبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١ هـــ) ، ط:الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـــ .
٦٤- **شُـــرَّاب: محمد محمد حسن** ، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط : الأولى ،دار القلم ، بيروت، ١٤١١هـــ.
٦٥- **الشـــيباني: أحمد بن حنبل** ، المســـند ، تحقيق: شعيب الأرنؤط وزملائه ، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت . ط:الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـــ.
٦٦- **الشـــيباني: أحمد بن حنبل**،(ت:٢٤١ هـــ)، العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ط: الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨ هـــ.
٦٧- **الشيباني: أحمد بن عمرو بن الضحاك**،(ت:٢٨٧ هـــ)، الآحاد والمثاني ، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة ، ط: الأولى، دار الراية، الرياض، ١٤١١ هـــ.
٦٨- **الشيباني: محمد بن الحسن**، كتاب الكسب ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، ط : الأولى، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤١٧ هـــ.

٦٩- **الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف**، طبقات الفقهاء ، تحقيق: خليل الميس ، ط: دار القلم، بيروت .

٧٠- **الصنعاني: محمد بن إسماعيل**، (ت: ١١٨٢ هـ)،سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ط: الرابعة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ .

٧١- **الطبراني: سليمان بن أحمد** ،(ت:٣٦٠ هـ) المعجم الكبير ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، ط: الثانية، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤ هـ.

٧٢- **الطبراني: سليمان بن أحمد**، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، ط: دار الحرمين ، القاهرة، ١٤١٥ هـ.

٧٣- **الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير**،(ت:٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٧٤- **ابن عاشور: محمد الطاهر**،(ت:١٢٨٤ هـ)، التحرير والتنوير،ط: الدار التونسية للنشر، تونس،١٩٨٤ م .

٧٥- **العجلي الكوفي: أحمد بن عبد الله بن صالح**،(ت:٢٦١هـ) معرفة الثقات ، تحقيق: عبد العليم بن عبد العظيم البستوي ، ط: الأولى، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥ هـ.

٧٦- **العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر**،(ت: ٨٥٢هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تعليق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز ، ط: مكتبة الرياض الحديثة .

٧٧- **العسقلاني**: الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: علي بن محمد البجاوي ، ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ.

٧٨- **العسقلاني**: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، ط: دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٧٩- **العسقلاني**: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة، ط: لأولى، دار الكتاب العربي، بيروت .

٨٠- **العسقلاني**: تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير ، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني ، ط: المدينة، ١٣٨٤ هـ.

٨١- **العسقلاني**: تهذيب التهذيب، ط:الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤ هـ .

٨٢- **العظيم آبادي: محمد شمس الحق**، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٠ هـ .

٨٣- **العمار: حمد بن ناصر**، صفات الداعية، ط: الأولى، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٧ هـ .

٨٤- **العمـــري: عبد العزيز بن ابراهيم** ، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ،ط: الأولى، مركز التراث الشعبي .

٨٥- **الغـــزالي: محمـــد بن محمد أبوحامد**، (ت: ٥٠٥ هـــ) ، إحياء علوم الدين، ط: دار المعرفة، بيروت.

٨٦- **الفاســـي المكـــي: أبـــو الطيب محمد بن أحمد**،(ت:٨٣٢ هـــ)، ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد ، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـــ.

٨٧- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب،(ت: ٨١٧هـــ) القاموس المحيط .

٨٨- **ابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن مسلم** (ت:٢٧٦ هـــ)، غريب الحديث والأثر ، تحقيق: عبد الله الجبوري ، ط : الأولى، مطبعة العاني، ١٣٩٧ هـــ.

٨٩- **القرطبي: أبوعمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر**، (ت: ٤٦٣هـــ)، التمهيد لما في الموطأ من المعـــاني والأسانيد ، المغرب،١٣٨٧ هـــ، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري ، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف.

٩٠- **القـــرطبي: محمد بن أحمد** ،(ت: ٦٧١ هـــ)،الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط: الثانية، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢ هـــ.

٩١- **القـــرطبي: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر**،(ت:٤٦٣ هـــــ) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي ، ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـــ.

٩٢- **القزويني: محمد بن يزيد**،(ت: ٢٧٥هـــ) سنن ابن ماجه ، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط: دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤ هـــ.

٩٣- **القســـطلاني: شـــهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشافعي**،(ت: ٩٢٣ هـــ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري،ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـــ.

٩٤- **القشـــيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج**، (ت: ٢٦١هـــ)، صحيح مسلم ، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط: دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ .

٩٥- **ابـــن القيم: محمد بن أبي بكر**، (ت:٧٥١)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعلـــيل ، تحقـــيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلـــبي ، ط : دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـــ.

٩٦- **ابن كثير الدمشقي** البداية والنهاية، ط: الثالثة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٨م .
٩٧- **ابـــن كثير الدمشقي: أبو الفداء محمد بن إسماعيل**، (ت:٧٧٤ هـــ)، تفسير القرآن العظيم، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـــ
٩٨- **الكرماني: شمس الدين محمد بن يوسف بن علي**، (ت: ٧٨٦هـــــ)، صحيح البخاري بشرح الكرماني، ط: الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١ هـــ .
٩٩- **الكـــوفي: هـــناد بـــن الســـري**، (ت: ٢٤٣هـــ)، الزهد، ط: الأولى، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، الكويت، ١٤٠٦هـــ.
١٠٠- **ابن المبارك: عبد الله بن واضح، الزهد** ، بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية.
١٠١- **المباركفوري: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم**، (ت: ١٣٥٣ هـــ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت .
١٠٢- **المـــزي: يوســـف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج** ، (ت: ٧٤٢ هـــ)، تهذيب الكمال ، تحقيق: بشار عواد ، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ هـــ.
١٠٣- **ابـــن معين: يحي**، (ت:٢٣٣ هـــــ)، تاريخ بن معين ، تحقيق: أحمد محمد نور سيف ، ط: دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٠هـــ.
١٠٤- **ابن مفلح الحنبلي: محمد**، (ت:٧٦٣ هـــ)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦ هـــ .
١٠٥- **المقدســـي: أحمـــد بن عبد الرحمن بن قدامة**، (ت: ٦٨٩ هـــ)، مختصر منهاج القاصدين ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، ط: مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨ هـــ.
١٠٦- **المقدسي: عبد الله بن أحمد بن قدامة**،(ت:٦٢٠ هـــ)، المغني، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـــ .
١٠٧- **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، ط: دار الفكر، بيروت، ١٣٩١ هـــ .
١٠٨- **المناوي: عبد الرؤوف بن تاج العارفين**، (ت: ١٠٣٠ هـــ)، فيض القدير ط: الأولى، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٥٦هـــ.
١٠٩- **ابن منظور: محمد بن مكرم**، (ت:٧١١هـــ)، لسان العرب، ط: الأولى، دار صادر، بيروت .
١١٠- **أبـــو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله** (٤٣٠ هـــ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط: الرابعة، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٥ هـــ.

١١١- **النووي: أبو زكريا يحي بن شرف**، (ت: ٦٧٦هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي ،ط: الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ هـ.

١١٢- **النيسابوري: محمد بن عبد الله الحاكم**، (ت: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.

١١٣- **الهمذاني: أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي**، (ت: ٥٠٩هـ) الفردوس بمأثور الخطاب ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول ، ط : الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦ م.

١١٤- **الهيثمي: علي بن أبي بكر**، (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد، ط: دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ

١١٥- **الوصابي الحبيشي: محمد بن عبد الرحمن بن عمر**،(ت:٧٣٨ هـ)، البركة في فضل السعي والحركة، ط: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ .

١١٦-**أبو يوسف الأنصاري: يعقوب بن إبراهيم**، (ت: ١٨٢هـ)، كتاب الآثار ، تحقيق: أبو الوفاء ، ط : دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٥ هـ .